روايات عبير

جانيت ديلي

الحصار الفضّي

www.liilas.com

٤٨

العنوان الأصلي هو

Boss Man from Ogallala

© JANET DAILEY 1975
© 1982 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف جانيت ديلي
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة
لهارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

---

١ ـ غيوم فوق المزرعة

تساءل الصوت الضعيف من فراشه بالمستشفى:
«وما من قلة الرجل المسن يا حبيبتي كاثي؟»

ابتسمت كاثي فيلدر وهي تتلافى الحبال والأنابيب التي تشد جسم والدها وتبقيه حياً وهي تلاحظ الشحوب البادي عليه، حتى المسكنات لم تستطع مسح أثر الألم من عينيه، وكذا قللت من روعها فقط

«بسبب تذمرك يا أبي».

قالتها دون أن تحاول [illegible] المتقطع [illegible] كاثي [illegible] أنها الخائفة [illegible] قبل أن [illegible] ويبدأ الفتى يستشيرنا عليه.

قالتها الآن وهي تنظر إليها بإمعان، وقد بدا في صوتها الخوف الذي أصبح شيئاً مألوفاً في الأيام الأخيرة.

«لقد تناولت الغداء مع جوني قبل عودته إلى نورث بلاته».

وحاولت كاثي وهي تهز سبب تأثرها ألا يلاحظ والدها مدى خيبة أملها التي انطوت عليها مقابلتها جوني. وبالرغم من محاولة والدها أن تبدو لحديثها لها عادية، إلا أنها شعرت أنهما كانا مشغولين في نقاش حاد قبل وصولها، فحاولت أن تقول شيئاً يملأ الصمت الرهيب.

«لم تبدأ في مغازلة الممرضات بعد يا أبي؟»

قهقه جون فيلدر محركاً رأسه الذي بدأ الشيب يدب في شعره وقال:

«لا يهمّ أنني سأفعل ذلك. إذ سأقضي في هذه الحبال والأثقال ستة أسابيع».

ونظر إلى سقف الغرفة في يأس وهو يلعن حظّه العاثر وقال:

«لم يكن هذا الوقت مناسباً لأقع من ظهر الحصان. ومع ذلك، كيف الحال في المزرعة يا "كاثي"؟»

وبدت "كاثي" متعبة في مواجهة والدها الجاد. وتمنت لو أن والدتها قضت الأيام الأخيرة مع والدها في "سكوتلاند" بحيث لم تعرف شيئاً عن الأزمة الأخيرة التي حلّت بالمزرعة، وكانت الأم لا تستطيع أن تخفي شيئاً عن زوجها حتى لو حاولت ذلك.

«كل شيء بخير يا أبي غير أن الجميع يشعرون بوحشة لغيابك عنهم».

وحاولت "كاثي" ألا تفكر في الصفقة المكسورة والعشرة رؤوس الماشية المفقودة من مرض. وبدت حيرى وسأل الأب ابنته بطريقته المعهودة في قراءة أفكارها، قائلاً:

«هل تخفين شيئاً عني يا "كاثي"؟»

«وماذا يدعو للقلق يا أبي، فكل ما حدث هو أن الحصان "ريجان" فقد شيئاً من صوابه وليته كسر ساقه حتى يضطرني إلى رميه بالرصاص».

فضحك الأب ضحكة مرّة لعبارة ابنته المرحة لكنها ضحكة لا تفارقه تقطيبته المألوفة وقال لها:

«بحق، كنت أدركك في عنفوان البداية».

لكن سرعان ما بدا وجهه جاداً وهو ينقل نظره بين زوجته وابنته ويقول:

«مرّ عليّ اليوم "فريد لوتون" من البنك بعد انصرافك مع "جوني"».

«لا تقل لي إن هناك مشاكل جديدة».

وتنهّدت "كاثي" وهي تعلم مدى حرج مركز عائلتها المالي بعد هبوط سعر الماشية في السوق، لكنها فهمت من نظرة والدها أن صديقه لم يحضر لأسباب ودية، ومع ذلك أخفت ما في نفسها وقالت:

«هذا كرم منه يا أبي».

إلا أن "جون فليمنج" تململ في سريره وقد بدا ثوب المستشفى الأبيض غريباً عليه، وقال:

«نعم لكنه قدّم اقتراحاً كنت أبحثه مع والدتك».

فثارت أعصاب "كاثي" رغماً عنها وهي تستمع إلى كلام أبيها وهو يقول:

«يعلم أنني سأظل في الجبس هذه ستة أسابيع أخرى على الأقل تقديراً حتى تلتئم عظامي، وحتى بعد ذلك، تعلمين أنني لم أعد شاباً، وبالرغم من عملية المسمار التي أجريت لي فإنني سأحتاج إلى وقت طويل حتى أشفى. وفي الوقت نفسه تقع مسؤولية إدارة المزرعة على عاتقك».

فطمأنته "كاثي" بسرعة قائلة:

«لا ضرورة للقيام بذلك يا أبي، انتهينا من جزّ الماشية وترتيبها وتحصينها بالحقن قبل إصابتها، كما سينتهي "مارك" من دراسته قريباً ويستطيع أن يساعدني بالرغم من بلوغه الخامسة عشرة فقط، كما أنك ستشفى من مرضك يا أبي وتعاونني في الأعمال اللازمة لتحريكها».

إلا أن النظرات المتبادلة بين الوالدين أشعرت "كاثي" بأن احتمالاتها لم تكن ناجحة [illegible] فقال:

«سليم أيضاً موجود، وإذا احتجت لمزيد من المساعدة يمكن "لسيمون" أن يحضر. إني في الثالثة والعشرين يا أبي وأعرف كل شيء عن المزرعة التي قضيت فيها عمري».

«لا أشك في قدرتك، لكنك تعرفين مدى خسارتنا بسبب عواصف الشتاء وأسعار المواشي، ولولا ارتفاع قيمة الأراضي لما استطعت الحصول على قرض آخر من البنك. إن "فريد لوتون" يعرفك جيداً ولن يترك الأمر لو تعهدت إليك بإدارة المزرعة».

وعند هذا الحد لم يستطع الأب مواجهة نظرة ابنته، فحوّل نظره إلى النافذة

الدلال في المرأة واستطرد قائلاً:

ـ ومن المزعج أن يعين شخصاً يدير الزراعة إلى أن أصبح أنا في حالة تمكنني من أن أتولاها بنفسي.

فحركت «كاتي» رأسها على كتفيها لتخفي العاطفة، وجالت بنظرها بين البنطلون الأبيض الذي كانت ترتديه وحذائها الطويل وقالت:

ـ هل هذا بسبب أنني امرأة؟ لو كان «جوني» موجوداً لاختلف الأمر أليس كذلك؟

فردت الأم قائلة:

ـ لا داعي للشعور بالمرارة يا عزيزتي، إنه الواقع.

ـ لا بد وأن دهاء المرأة يعرف ما هو بصدده.

وحاولت «كاتي» أن تتماسك لكن صوتاً مريراً اندفع من بين شفتيها بينما اتجهت نحو النافذة والغيظ يرتسم على وجهها غير أن والدها قال لها:

ـ لو كان هناك أمل في استرداد صحتي في القريب لما فكرنا بتكليفهم، فعلينا مواجهة الواقع يا «كاتي». سأستعين بالسيارة لنستعين بالمساعدة الفنية في حالة أي طارئ يجد في العمل.

ـ لكنه الرئيس الوحيد الذي أتذكر «[illegible]» ولا أعرف كيف أتلقى الأوامر من أحد غيره. ألا تستطيع إقناع السيد «[illegible]» بذلك؟

ـ إنه يعرف رجلاً من «أوغاندا» يتمتع بخبرة واسعة كمزارع، وقد طلبت منه أن يستدعيه ويرسله إلينا، إني متأكد من أنك تستطيعين الاعتماد عليه في أن تسير الأمور هنا بالنسبة إليه.

إلا أن «كاتي» لم تحاول إخفاء شعورها بالمرارة لأن ارتباطها بأبيها لا يدع مجالاً لإخفاء شيء عنه، فاتجهت نحو سريره وقالت:

ـ لماذا لا أتولى الأمور بشجاعة الرجال؟ إنك تعتمد عليّ يا أبي مثل عهدك بي دائماً.

فتبسم الأب وقال:

ـ كنت متأكداً من ذلك، لكني أشعر باطمئنان أكثر عند سماعي ذلك منك الآن.

وهنا دخلت الممرضة الغرفة وهي تحمل صينية العلاج في يدها وقالت:

ـ حان الوقت مرة أخرى يا سيد «[illegible]».

ونظرت إلى «كاتي» ووالدتها نظرة توحي إليهما بأن يتركا الغرفة.

ـ سأتركك الآن يا أبي لأصل إلى المنزل قبل وصول «[illegible]».

واقتربت «كاتي» من أبيها لتقبله، وبعد برهة قالت:

ـ متى أتوقع وصول ذلك الرجل القادم إلينا؟

ـ قال «[illegible]» إنه سيحاول إرساله في أوائل الأسبوع.

فتنهدت «كاتي» ثم ابتسمت وقالت في نفسها إن لديها خمسة أيام لتجهز كل شيء. وصحبت والدتها قائلة:

ـ سأحضر مع «[illegible]» يوم الأحد.

ثم تبعت والدتها إلى الخارج. كانت «كاتي» دائمة الإعجاب بولاء أمها لزوجها، ورأت بنفسها أثر ذلك الحب في الأيام الأربعة التي مرت منذ الحادث. وفعلاً تغيرت ملامح «[illegible]» الفاتنة عندما التفتت إلى ابنتها قائلة:

ـ تعرفين يا «كاتي» أن والدك لم يكن في موقف يسمح له بالجدال مع الطبيب.

فردت الفتاة قائلة:

ـ أفهم ذلك غير أنني لا أرتاح إليه.

فتنهدت الأم ونظرت إلى ابنتها نظرة اعتذار وقالت:

ـ في الواقع أنا مسرورة لهذا الأمر فلم يبق لي إلا أن أراك تتحملين هذه المسؤولية وحدك، وعلى الأخص في وقت تكثر فيه المشاكل.

ـ آمل أن تتخطي كل الأزمات يا أمي. اهتمي أنت بأمر أبي واتركي الزراعة ومتاعبها الجديدة لي.

ـ كنت أتكل عليك طوال هذه السنين لتشيري بالنصيحة في بعض الأمور، والآن

وقد انتقل جوني إلى السكة الحديد بدلاً من اشتغاله بالمزرعة، وكادت أن تشعر بالسعادة وعلى الأخص حين تراه الآن ينتهج هذا الطريق الصحيح الذي تمنت من قبله، فعندما ينتهي كل شيء ويعود جوني إلى المنزل...»

وهنا انخفض صوت الأم فسكتت وضحكت كاسي بنفس الضحكة التي تمتزج بصوت أمها فكل منهما لا تستطيع الكلام عن أمر آخر تخشاه، ومع ذلك المريض في المستشفى الذي يعاني من كسر في فخذه.

تبادلت لوسيل وابنتها القبلات ووعدتها الأم في شيء من الشرود بأنها ستعود معها ومع مارك إلى المنزل بعد زيارتها للمستشفى يوم الأحد، وهنا شعرت كاسي بأن أمها تتنازعها رغبتان رغبتها في البقاء بجانب زوجها، ورغبتها في البقاء مع أولادها كما أيقنت كاسي بأنه بالرغم من مظهر أمها الخارجي الذي ينم عن رقة أنوثتها فهي في قرارة نفسها امرأة قوية، ولا بد أنها ناقشت الموضوع مع والدها واتفقا عليه فلا حاجة لكاسي أن تثنيها عن عودتها للمنزل لأن كلا الوالدين سيهنآن عندما تعود لوسيل إلى المزرعة مع أولادها.

عندما غادرت كاسي المستشفى راودتها فكرة طارئة وهي أن تذهب إلى نورث بلات لمقابلة أخيها الأكبر مرة أخرى وترجوه العودة إلى المزرعة ومعاونتها في هذه الأزمة الخطيرة، لكنها تذكرت إصراره على رفض اقتراحها، فقد حاول جوني منذ صباه تلبية رغبة أبيه وتعلم الزراعة حتى يتولى شؤون المزرعة في يوم من الأيام إلا أنه بعد الانتهاء من دراسته التحق بالجيش، وفي أثناء خدمته عبر البحار كتب لكاسي يقول إنه قرر ألا يعود للعمل مع أبيه. ويوم انتهت خدمته العسكرية في نهاية صيف العام الماضي سرعان ما أخطر والديه بأنه قبل وظيفة في نورث بلات مع شركة يونيون باسيفيك للسكك الحديدية.

هنا شعر والداه بخيبة أمل كبيرة في ابنهما، وابتلعا مرارة الحزن مع كل المتاعب

التي كانا يعانيان منها غير أن كاسي شعرت بألم والدها عندما ترك ابنه الأكبر يبني مستقبله بنفسه، ومع ذلك ظلت أشد تعلقاً بالغد مع أخيها أن تقنعه بالعودة ولو مؤقتاً. ومع أن جوني كان متعاطفاً معها غير أنه رفض طلبها والخجل يعلو وجهه قائلاً:

«لقد حسمت الأمر، وأعرف أن أبي لن يقف في طريقي، وكم أشعر بالذنب وأنا أقوله، إذ أعرف كيف كان يعتمد عليّ، فإذا عدت الآن فإني أحيي فيه الأمل مرة أخرى، وفي الواقع يا كاسي أنت تفكرين في المزرعة أكثر مني»

إلا أن العبارة الثالثة التي قالها كانت هي التي منعتها من الاتصال به ثانية بخصوص الشخص الذي سيصل لتولي المزرعة، إذ قال جوني ليحسم الموقف:

«إذا واجهتك أي صعوبة يا أختي يمكنك أنت وأبي أن تستأجرا شخصاً أكثر خبرة مني»

لذا كانت رحلة عودتها إلى المزرعة خليطاً من القلق والغضب، لكن فكرة وجود أبيها في فراشه بالمستشفى لمدة ستة أسابيع في الوقت الذي كانت المزرعة في أشد الحاجة إليه، تثقل على صدرها كما تثقل عليه ثورتها حين تفكر أن شخصاً غريباً سوف يتولى أمر مستقبل العائلة.

٢ ـ هواء الشمال البارد

على بعد ثلاثة أميال من المزرعة رأت «كاسي» وهي تقود سيارتها، سيارة تقترب من مزرعة «سميث» وتوقفت السيارتان الاثنتان في وقت واحد، بينما خففت «كاسي» من سرعة سيارتها حتى توقفت وأنزلت زجاج النافذة، ونزل «سميثي» الذي كان في الشاحنة وسألها:

«هل أنت عائدة لتوك من المستشفى؟»

قالها وهو يرفع يده ليمسح العرق عن جبينه وهو يستند على السيارة وأومأت «كاسي» برأسها وتطلعت إلى الوجه الذي لفحته حرارة الشمس، وبدت على ملامحه وسامة الشباب والإقبال على الحياة. وكانت عيناه بنيتين ولهما بريق عجيب، وشعره بني اللون طويلاً وغزيراً بحيث يصل إلى ما تحت أذنيه ويختلط بسوالفه طويلاً بحيث يتمشى مع الموضة وقصيراً بحيث لا يثير غضب أبيه. «سميثي» أو على الأصح «جون سميث»، هو الابن الوحيد «لروبرت» و «جين» «سميث» وهما أقرب جيران آل «غيلمور» وكان «سميثي» في الثالثة والعشرين من عمره أي في نفس سن «جوني» شقيق «كاسي» الأكبر وكانت «كاسي» منذ طفولتها تتبع الصبيين أينما ذهبا حتى أصبحت في السابعة عشرة من عمرها وبعدها بدأ «سميثي» يهتم بها لأنهما يشتركان في حب الحياة الريفية والرياضة والحيوانات.

ابتسمت «كاسي» له وظهر عليها حبها لأبيها وفخرها به حين قالت:

«والدي في تحسن، لكنه مازال يشعر بالألم إلا أنه لا يشكو من شيء مطلقاً».

فقال لها «سميثي»:

«سنذهب إليه يوم الأحد. وكيف الحال في مزرعتكم؟»

«انكسرت المضخة عند البئر رقم ١٠ وحاول «سام» إصلاحها لكنه لا يفهم شيئاً في المحركات، فتذكرت أنه في...»

«لو أحضر أنا لأصلحها؟ بالتأكيد سأحضر. أعطاني أبي حرية الحضور إلى مزرعتكم في أي وقت تحتاجون فيه إليّ. هل نجحت في إقناع «جوني» بالرجوع للمزرعة؟»

«لا... وليس هذا كل شيء، فقد قرر «لورد» من البنك بعد أمر إرسال رجل ليدير المزرعة إلى أن يقف والدي على قدميه»

فأبدى «سميثي» دهشته من هذا الخبر خاصة وأن معرفته الطويلة بكاسي جعلته يشعر بأثر هذا النبأ عليها، وأضافت «كاسي» قائلة وقد تقطب جبينها:

«إنهم لا يثقون بالمرأة»

فداعبها «سميثي» قائلاً:

«ستلقى معارضة «كاسي» التي تعتمد دائماً على نفسها في إدارة أمورها من رئيس كبير»

فرمقته «كاسي» بنظرة حالمة بينما كان هو في مداعبته لها فمد يده ولمس برفق الشعر المنسدل على أنفها ثم انحدر بيده ورفع ذقنها وأدخل رأسه من نافذة السيارة وهو يقول:

«أبي مسرور لذلك، إذ لا أريد لحبيبتي أن تربط نفسها بالمزرعة أربعاً وعشرين ساعة في اليوم طيلة الصيف»

وبدلاً من فرحتها لتصرفه هذا، لم تتقبل «كاسي» فكرة وجود شخص آخر غريب عن عائلة «غيلمور» يتولى مزرعة «أنكور» بل إذا غلبت عليها روحها المرحة وهي تفكر في هذا الموضوع وقالت:

«وماذا يكون شعورك لو حضر شخص وأخذ ما عليك أمامي وأنت في مزرعتك؟ لكنك لست امرأة. أنا لن يحدث لك ذلك».

«لا تعتبري المسألة إهانة شخصية لك».

حق السيد سميث أن استمع إلى كايتي وهي تناقش موضوع المساواة بين الجنسين، وشعر أنها سعيدة في إلقاء محاضرة من ذلك النوع، لذا قال لها:

«ما أظن لن يدوم ذلك القلق إلى الأبد».

لكنها ضحكت عليه قائلة:

«كنت أتوقع أن تفهم موقفي».

«إنني أفهمه، لكن لا فائدة من السخط على شيء لا يمكن تغييره. بينما كنت في طريقي للمرعى الغربي اليوم رأيت رؤوس الماشية العشرة التي فقدت منك وهي مختلطة مع قطيعنا الوحيد هناك».

فتنهدت كايتي وقالت وهي تتنفس الصعداء:

«هذا معناه أن السور قد انهار في مكان ما. إن الماشية قد تم العثور عليها ولم تسرق كم كنت أتوقع».

وسرعان ما قال لها سميث:

«سأقابلك هناك غداً لنفرز الماشية معاً».

«أشكرك، إذ أريد أن يكون كل شيء على ما يرام عندما يحضر هذا الرجل».

«ومن هو؟»

وبسبب ضيق كايتي من معرفة التفاصيل هزت كتفيها في عدم اكتراث وقالت:

«شخص من أوكلاهوما».

ثم أضافت قائلة:

«يحسن بي الانصراف الآن لأصل إلى المنزل قبل مارك».

وربّت سميث على السيارة بيده وقال:

«من الباص منذ نصف ساعة. وبالمناسبة، هل ما زال موعدنا مساء السبت القادم؟ سأضطر للذهاب إلى سكوتسبلاف مع مارك، فما رأيك في الحضور لمشاهدة التليفزيون أو أي شيء آخر».

قالت كايتي ذلك، وأدارت السيارة وخرجت بها إلى الطريق العام بينما لوّح لها سميث والابتسامة على شفتيها.

وبعد ميلين من مسيرتها انعطفت كايتي إلى الطريق الجانبي المؤدي إلى منزل المزرعة، وجالت بنظرها عبر التلال المحيطة بالمكان، وعبر البراري المغطاة بالأعشاب التي أخذت تتغير من اللون الربيعي الأخضر إلى اللون الأصفر، كما لاحظت اللون الأحمر الشاحب الذي يميز جلود الماشية، وكانت التلال تمتد عبر الأفق يتخللها عدد من طواحين الهواء الشاهقة، وأرسلت كايتي نظرها نحو منزلهم القابع في منتصف الجانب الشمالي، في حمى التلال التي تحميه من لفح هواء الشمال البارد.

وعند سماع صوت اقتراب السيارة خرج كلب من تحت الشرفة الخشبية، شعره أشعث يهز ذيله من فرط السرور. كان شيب يعتبر عضواً في الأسرة منذ أن دخل عليهم وهو جرو صغير، فاندفع بجسده نحو كايتي التي كان يعتبرها أحب أعضاء أسرته.

وظهر مارك على الشرفة بينما راحت كايتي تحيي شيب الذي علا صوته بالفرح في محاولة لتهدئته، وراحت تتفحص الصبي الذي كان يلبس بنطلوناً يصل إلى أعلى كاحليه مما يدل على مدى الطول الذي وصل إليه فجأة أثناء هذا الربيع، وكان قميصه مفتوحاً وتظهر منه عظام ترقوته التي برزت من صدره. وكان مارك يشبه أمه بشعره الأشقر وعينيه الزرقاوين، كما بدا عليه أن طوله سيصل إلى ستة أقدام مثل أبيه، أما الآن فهو في مثل طول كايتي.

«لم يحن موعد عودتك بعد».

قالها مارك بصوت متبرم تظهر فيه نبرة الصبي الذي لم يكتمل تحوله

صوته إلى صوت الرجال. ثم ألقى بنفسه على أحد مقاعد الشرفة.

«إنني أموت جوعاً. ألا يمكننا أن نذهب للمدينة لتناول فطيرة؟»

لكن «كايتي» تجاهلت طلبه المستمر للطعام وسألت:

«هل انتهيت من أداء كل أعمالك؟»

«كلا، عدت لتوي إلى المنزل».

قال «سميثي»: «إن الشمس مرتفعة نصف ساعة. ما يعني أنه كان لدي الوقت الكافي للانتهاء من التهام البسكويت التي أرسلته السيدة «باركر» ونحو نصف غالون الحليب المبرد بالثلاجة وكلها كانت لازمة لتعطيني القوة اللازمة للقيام بأعمالي».

هز كتفيه وهو يلبس حذاءه وقال:

«كنت جائعاً لكن، كيف حال أبي؟»

«أعتقد أنه أحسن حالاً».

«هل من الضروري الذهاب للمدرسة غداً؟ ألا يمكنك اصطحابي معك لزيارته وكتابة اعتذار إلى المدرسة؟»

«غداً يوم الجمعة يا «مارك». ويوم واحد لن يضيرك. كما أن الأربعاء القادم هو آخر يوم قبل العطلة الصيفية».

ثم صعدت الدرج إلى الشرفة وقالت له:

«اسرع وأنهِ أعمالك».

وقال «مارك» متصنعاً مظهر استخفافه، وهو ينزل الدرج متجهاً نحو الثيران الثلاثة التي كانت تكون مع العجل مجموعة حيوانات المزرعة:

«لا تنسي أن تحضري الدرج الليلة لتنظيفه».

ثم دفعت الباب وتبعته لتدخل إلى المنزل.

وجدت «كايتي» إبريق الحليب الفارغ والكوب الذي يحمل آثاره جنباً إلى جنب على طاولة المطبخ بين فتات البسكويت المبعثر حولها. هزت رأسها معتزة

عن ضياع أملها في إصلاح أخيها. وأخذت تنظف المكان وهي تتمنى عودة أمها إلى المنزل. فبالإضافة إلى أعمالها المنزلية والتنظيف كانت تقوم أيضاً بالأعمال الزراعية مثل الحصاد. وكانت «كايتي» وأخوها يتعاونان لمساعدة الجيران في إعداد الأطعمة المنزلية والخبز بعد رحيل العائلات لأبيها يوم الاثنين. ورحيل الأم إلى «بيكرسفيلد» لتكون بجانب زوجها بعد العملية التي أجريت له لوضع مسمار في ظهره. إلا أن «مارك» كان قد التهم ما تبقى من هدايا الجيران.

وبما حل وقت العشاء سأل «مارك» أخته «كايتي» بيأس:

«متى ستعود أمي إلى المنزل؟»

فردت عليه:

«لن تعود قبل يوم الأحد».

«إذاً علينا الذهاب إلى المدينة لتناول العشاء».

والتقت نظراتهما، وبحركة واحدة دانا وقال «مارك»:

«إذا تعاونا معاً، يمكننا تنظيف المطبخ في عشر دقائق والوصول إلى المطعم بعد ساعة».

٣ ـ مجيء الرجل المتعجرف

لوحت كاثي مودعة مارك وهو يخطو خطواته إلى حيث يستقل سيارة المدرسة. وكان يكره مارك الأيام التي كان فيها في سن الركوب، كما كان يحصي الأيام حتى يصل إلى سن السادسة عشرة، حيث يسمح له باستخراج رخصة القيادة حتى لا يضطر لركوب سيارة المدرسة، وتنهدت كاثي وهي تفكر بأن ذلك اليوم ليس ببعيد.

سام ويلر العامل المساعد في المزرعة منذ عشر سنوات بدأ في [illegible] عليها [illegible] نظرت كاثي إلى الجواد [illegible] القريب [illegible] كان هو الحصان إيكلبس الذي [illegible] من [illegible] الحظيرة.

كاثي تراقب الجواد من زاوية خفية وقد أعجبت بكل تكوينه وجمال عضلاته. وكان جلده البني اللامع يلمع في شمس الصباح، بينما أخذ يهز ذيله الأسود ليهش به الذباب من حوله. وعند سماع وقع خطاها الطويل على الأرض المغطاة بخليط من الرمل والحصى أدار الحصان وجهه في اتجاهها ولم تستطع أن تسيطر على الرعشة التي سرت في جسمها عندما نظرت إلى وجهه الأبيض الذي يتخلله قليل من اللون البني على الصدغين وكان رائعاً يشبه المثلث وهي [illegible] عليها خاصة عندما نظرت إلى عينيه ووجدت أن إحداهما بنية والأخرى زرقاء.

ثارت أعصابها عندما التقت نظراتها بنظرات الحصان. فطالما تاقت أيامها في أن يبيعه ولكنه عارضها بحجة أنه حصان ممتاز لرعاية تطويع المهاري. وهي

حقيقة لم تذكرها كاثي. فقد كان إيكلبس من أحسن جواد في المزرعة وكان الطبيب يتركه سريع منحة وهو يقوم بعمله. أما فيما عدا ذلك فلم تكن كاثي ترتاح إليه، إذ لم يكن من السهل التنبؤ بما قد يصدر عنه، ولا يمكن الاعتماد عليه في القيام بأبسط الأعمال.

وفي يوم الحادث حاولت كاثي الناج واقفة بأخذ جوادها للاغتسال على حافة البئر القريب من المنزل، إذ إن جواده المفضل كان يشكو من العرج، ومع ذلك مستتر على الشلال. إيكلبس هو الذي تسبب بوقوع الحادث الأليم.

ومصحوبة فقدت كاثي تلك الذكرى الأليمة وأسرعت نحو جوادها الواقف على أهبة الانطلاق. وكان لون جلده الأسمر الفاتح يبرز سواد عرفه وذيله وأسفل أقدامه. وسحب الجواد وهي تمسك بلجامه وكررته خارج الحظائر نحو الطريق. وكان الكلب شيب جالساً بجانب السيارة وهو يحدق بأقدامه [illegible] مراقبة الانطلاق [illegible] كاثي [illegible] الكلب [illegible] مرة [illegible] أن يكون.

وعندما اقتربت كاثي داخل الساحة، لمحت أنه يشبهها مرتين تتجه نحو سام بأنه سيخرج.

كان مارك يسمي سام بسام الصامت ولم يكن أحد يعرف الكثير عنه. فلم يظهر أي اهتمام بأسرته. وكان قد رفض الترتيب الأخير بتبيته في الكشك الصغير، وفضل النوم في مقطورة شبه محطمة وضعها بجوار إحدى البحيرات الموجودة في المزرعة، والتي يمكن وصفها بأنها مستنقع كبير. ولم يكن سام يتكلم كثيراً، ومن هنا جاء اسمه. غير أنه عندما يتكلم كان لا بد أن يقول شيئاً هاماً أو مفيداً. وكان رأيه في النساء يتفق مع رأي أهل غرب أمريكا الأوائل. لذا كان يعاملهن بشيء من الاحترام والأدب، وكثيراً ما شعرت كاثي أن سلوك سام نحو والدتها كان يقترب من الإجلال، كما شعرت أنه من [illegible] ثقة من

www.liilas.com

الرجال الذين تركوا بصماتهم على الحدود الغربية للولايات المتحدة وكان سام مديد القامة، نحيل الجسم، خجول الطبع، كما كان ملماً إلماماً تاماً بكل خفايا الطبيعة من نبات وحيوان، لذا علم كاثي أسماء النباتات التي كانت تنمو في سالدهيل، كما عرفها بفوائد هذه النباتات بالنسبة إلى الهنود الذين جابوا تلك المناطق في وقت من الأوقات، وقص عليها كل ما يعرفه عن سيطرة الغربان البرية على هذه البراري بفضل عشها الكبير الذي كان يقرب من الثلاثين.

تذكرت كاثي كيف كان سمسي و جولي يداعبانها وهي صغيرة ويقولان لها إن سام ينحدر من أحد القبائل الرحل التي هاجمها الهنود وأنهم ربوه كأحد أبناء الهنود.

ولقد ساعد شكل سام الغريب ووجهه الذي لا يدل على سنه، ساعد كاثي على تصديق هذه القصة حتى قال لها والدها إنها قصة لا يمكن أن تحدث، ومع ذلك كانت تلك هي الصورة التي بدا بها سام ووقر الكابتن وسمسي ظاناً بها إنه ينتمي إلى عهد مضى وإلى نوع آخر من الرجال.

وكادت كاثي أن تصل إلى بوابة مرعى ريدنت هول عندما شاهدت التراب المتصاعد من سيارة سمسي وهي تقترب، وعندما أوقف سيارته بجانب سيارتها كانت كاثي قد حلت جوادها تاني وأنزلته من المقطورة وأمسكت فتح البوابة ومال كاثي لم يضع سمسي وقتاً في إنزال حصانه وقيادته عبر البوابة، لقد أمن كل منهما بأن العمل أولاً ثم يليه الحديث، وبعد قفل البوابة امتطى كل منهما حصانه وأخذ الجوادان يطرقان الأرض بينما هز قيسي ذيله وهو يمرح أمامهما.

وبعد أن سارا بمحاذاة السور لمسافة معينة بدأ سمسي الحديث بنبرة متسائلاً:

ماذا قال مارك عندما علم بمجيء الرجل الغريب؟

وأنت تعرف مارك جيداً، إن أكبر كارثة في حياته وأهم ما يشغل باله هو

ليتأكد بأنه لن يراه طويلاً.

وضحكت كاثي لكن سرعان ما ظهرت على جبهتها تقطيبة لا تمت لها بشمس الصبح الساطعة وقالت:

ربما عليه الارتياح لأن أمراله ستظل أثناء الصيف بقدوم الرجل، وأعتقد أنه فعل طبيعي لشيء في مثل سنه.

وقال سمسي يقول ساخراً:

هكذا تتكلم السيدة العجوز وهي تتحدث من حكمة الأيام والسنين.

فاصطبغ وجه كاثي بحمرة الخجل وهي تشعر بما كان في صوتها من نبرات تنم عن السيطرة، وأضفت هذه الحمرة على وجنتيها وهجاً جميلاً من الأنوثة، وكان شعرها منكوشاً للشمس التي أضفت على اللون البني بريقاً ذهبياً، وداعب النسيم شعرها القصير فلامست خصلات منه وجهها وكأنها تبتسم، وكان حاجباها طبيعيين لم تمس فرشيهما معدات التجميل، أما عيناها الفاتحتان كانتا أحياناً تعكسان إشارات الغضب لقد بدأ اليوم بالقدر يغلب عليهما الخجل، وقد زاد من مظهر البراءة البادية عليها نقط النمش المرتسمة على أنفها ووجنتيها، وبالرغم من صغر فمها الذي يتناسب مع حجم بقية قسماتها لقد كانت شفتاها ممتلئتين.

وأشارت كاثي بيدها قائلة:

ها هي الشجرة المزعجة في السور

وكانت أمامهما تماماً شجرة جزعها يد الشتاء، ويمر الصيف الخالف من أوراقها والسور خلفها الذي أصبح بفضله التلاحم يميز لون البراري الأخضر وقد سقط فرع من الشجرة فجذب معه جزءاً من السور أثناء سقوطه.

وبسرعة أثنى كل من كاثي و سمسي حبالها حول الفرع وجذباه بعيداً عن السور ثم نظفا المكان من بقايا الأسلاك الشائكة المحطمة، وعندما امتطيا جواديهما وجعلا من فتحة السور أشار سمسي إلى الجهة التي رأى فيها ماشية أنكر بار.

وكانت التلال ممتدة أمامها ترى لمن يراها أنها منبسطة، إلا أن المنخفضات التي تتخللها كانت غائرة بحيث يمكنها إخفاء أي بقرة كبيرة أو حتى أي جواد براكبه. وفي أماكن متفرقة كان عشب المراعي قد تآكل من جانب التل بحيث تعرت الأرض الصفراء. وكانت الطيور تشدو وتحلق حولها.

وكثيراً ما سمعت كابي بعض الناس يصفون التلال بأنها مهجورة بسبب السماء المفتوحة والتلال الممتدة عبر الأفق. إلا أن كابي سمعت مرح همس الرياح، وتغريد الطيور، ووقع حوافر جوادها وهو يخطر بين الأعشاب والرمال.

وكانت كابي تحب الاستيقاظ مبكراً لترقب الشمس وهي تبرز من بين السحاب، كما تراقبها وهي تتوارى وراء الأفق. كان هذا موطنها الذي لم تشعر فيه بالوحدة، وكيف تشعر بالوحشة وحولها أشخاص تحبهم ومناظر جميلة من صنع الخالق.

وعندما وصل الفارسان إلى قمة التل رأيا قطيع البقر الصغير وهو يرعى في المراعي الخصيبة، ورفعت الكلبة رأسها ببطء [illegible] كل من كابي و سميثي معها بدا على شيب وراءها في صمت ناظراً فيما يشبه الابتسامة السعيدة، وأخذ يلهث وجال بعينيه الرائقتين ليتفحص الماشية منتظراً إشارة من سيدته لجمع القطيع. وقالت كابي برفق:

- أرى سبع بقرات عليها علامة أنكور بار.

وأومأ سميثي لها برأسه بينما هما يطوفان حول القطيع ورأيا ثلاث بقرات أخرى ترعى بعيداً عن المجموعة الكبيرة. وأشارت كابي بيدها نحوها فاندفع شيب مسرعاً ليقوم بجمع البقر وكان الكلب [illegible] وهو يجري ويقفز من بقرة إلى أخرى حتى تجمعت معاً في دائرة واسعة. ولوح كل من كابي و سميثي بجواده ليندفع إلى الأمام لكي يفصلا بين بقر أنكور بار والبقر الآخر وظل شيب جالساً في سكون على الأعشاب بلا حركة إلا عندما يشعر أن إحدى بقرات أنكور بار تحاول أن تنضم للبقر الآخر.

- وأقسم بأن هذا الكلب يستطيع قراءة علامات البقر.

قالها سميثي عندما انتهى الكلب من فصل آخر بقرة من القطيع الآخر وصحب الجميع البقرات العشر نحو الفتحة الموجودة في السور.

وقالت كابي مبتسمة للكلب وهو يجري بجوار الماشية:

- أحياناً أشعر بشيء غريب عندما أنظر إليه.

وكانت رحلة العودة إلى السور أسرع من رحلة الذهاب، فسرعان ما عادا مصطحبين معهما ماشية مزرعة [illegible] ثم أخذا يصلحان الأسلاك الشائكة حتى عاد السور كما كان.

وبينما أخذ سميثي يعيد معداته إلى جرابها بالسرج، قالت له كابي وهي تدعوه لتناول شيء من المرطبات:

- معي بالسيارة بعض عصير الليمون.

فقال وهو يجفف العرق عن جبينه بظهر يده:

- إني حقاً بحاجة لتناول شيء منعش.

ثم أضاف:

- هيا نتسابق.

ولم تهتم كابي بفكرة شرب شيء بل أمسكت بجوادها وقفزت إلى السرج ووراءها مباشرة جاء سميثي على ظهر جواده. وسارا في طريقهما إلى بوابة المزرعة. وعندما توقفا كانت قد سبقته بمسافة طويلة. وقالت والفرحة تغمرها:

- على الخاسر أن يقوم بتنظيف حوافر الجياد.

فأخذ منها سميثي اللجام وقال:

- لا مانع لدي طالما يحق للفائز تقديم عصير الليمون.

وبعد ذلك انحنت كابي إليه وقدمت له كوباً من الليمون البارد، وقال سميثي بعد برهة:

«كنت أعرض على أبي ليلة أمس، الترتيبات التي اتفق عليها والدك بخصوص الشخص الذي سيدير المزرعة أثناء إقامته في المستشفى. وعندما طلب مني المزيد من التفاصيل التي لم أستطع أن أمده بها اتصل تلفونياً بالمستشفى. أتعرفين اسم الشخص القادم إليكم؟»

«كلا، ولا يهمني معرفته».

قالتها وهي تحاول ألا تدع وجهها يعبّر عما يجول بنفسها.

«اسمه فليت ماكاليستر».

وتوقف سميتي برهة لتعي كايسي الاسم جيداً، واستمرت في سيرها وهي تنظر أمامها وكأنها لا ترى شيئاً، كما أنها لم تعلق على عبارته، ومضى يقول:

«إنك تعرفينه، أليس كذلك؟»

«لا أستطيع القول أني أعرفه».

وكان جوابها بارداً بحيث تعمدت أن يشعر بأنفتها من هذا الموضوع.

«إنه ينتمي إلى شركة ماكاليستر للأراضي وشركة المواشي في أريزونا، وقد سمع بهم جميع مربي المواشي في الغرب الأوسط».

رفعت كايسي أنفها معبّرة عن كبريائها واحتقارها.

«وما تلك الشركة؟»

تابع سميتي الموضوع بإصرار وقال:

«لا تحاولي التغابي بأن الأمر لم يكن له وقع لدى سماعك. فلا بد أنك سمعت أنه كان في استطاعة ماكاليستر الكبير وابنه أن يستوليا على منطقة ساندهيلز كلها ويكوّنا أكبر امبراطورية للمواشي في الولايات المتحدة في سنوات الجفاف. ومع ذلك بذل الأب ما في وسعه لمساعدة أصحاب المزارع، وبلغ به الأمر أن قدم لهم القروض حتى بعد أن أصبح عاجزاً عن ذلك، وكاد هو نفسه أن ينهار كما انهار غيره. إن فليت ماكاليستر هو حفيد ذلك الرجل العظيم».

ولاحظ سميتي تعبير الانفعال الذي حاولت كايسي ألا يظهر عليها

وتابع كلامه قائلاً:

«ألست تذكرين أنه منذ سنوات اشترك فليت ماكاليستر في برنامج تبادل زراعي، وقضى سنوات في أستراليا يدرس طريقة الناس في إدارة المزارع؟ وأذكر ذلك، ولا بد سيصطدم عندما يكتشف أنه سيتولى هنا إدارة مزرعة هزيلة أراضيها ستة عشر ألف فدان فقط».

«يا إلهي، يا كايسي! ألا تتمكنين من هذه الإثارة، وتفكرين في الفرصة التي ستسنح لك؟ لماذا تفكرين بما ستخلصينه من هذا الرجل أثناء وجوده هنا؟ وبعبارة إضافية أقول إن الأب سيحتل هذا المنصب وسيجعل فليت يتولى إدارة الشركة ويمنحه السلطة الكاملة عليها».

«كيف تكون بهذا الغباء! ألا ترى كيف سيسيطر علينا هذا الرجل العظيم بعجرفته وكبريائه؟ إنك أمام فتاة ترفض أن يأمرها ذلك الرجل الذي يخشى العلم بكل أنواعه».

تمتم سميتي شيئاً بعصبية إذ أيقن ألا فائدة من الجدال معها، ففي إمكانها أن تكون عنيدة، الأمر الذي لا يؤدي إلا إلى مزيد من الكلمات الصارمة. لذا تعمّد أن يسحب جواده إلى مقطورة السيارة ويحكم ربطه عليها. وفهم من الأصوات التي كان يسمعها أن كايسي كانت هي أيضاً تقتاد جوادها إلى مقطورة سيارتها، وسرعان ما قال لها باقتضاب قبل أن يركب سيارته:

«سأسبقك إلى المزرعة لأخذ الجرار المعطل».

فأومأت كايسي برأسها توافقه على اقتراحه، وهي تدفع المزلاج الذي يغلق باب المقطورة.

٤ ـ التفاحة المهترئة

فلينت ماكاليستر، فلينت ماكاليستر، فلينت ماكاليستر!

شعرت «كايتي» أنها ستصرخ إذا سمعت ذلك الاسم مرة أخرى. فقد كان الاسم على فم كل من زار والدها في المستشفى أثناء عطلة نهاية الأسبوع. ولاحظت أن سرور والدها يتزايد كلما فكر في أن ذلك الرجل سيدير مزرعته. وكان يفخر بأن شخصاً معروفاً ومحترماً مثل «فلينت ماكاليستر» سيكون رئيساً في «أنكور بار» وقد زاد في بهجته ردود فعل أصدقائه وزملائه المزارعين وجيرانهم لوجوده. أما «كايتي» فقد أزعجتها نبرات التبجيل التي سمعتها في أصواتهم كلما ذكروا اسمه وكانوا يتكلمون عنه وكأنه رئيس «الولايات المتحدة» ونجم سينمائي مشهور.

ويوم الأحد حضر «جيري» ومرّ هو أيضاً ثقيلاً لأنه أنقذه من الشعور بالذنب الذي كان يعذبه.

وكانت «كايتي» محقة عندما قررت أن لا فائدة من مناقشة أخيها حول ذلك الرجل من الشمال، لأن «جيري» كان معجباً متحمساً، وحتى «مارك» الشاب تعوّد المديح في تلك الأسطورة الحية «فلينت ماكاليستر» فقد أتحف «كايتي» في طريق العودة للمنزل مع أمها بكل القصص التي سمعها عنه.

وكانت الأم هي الوحيدة التي لاحظت صمتها وهي تحاول السيطرة على غضبها المتزايد. لكنها لم تشرح النظرات الرائقة المتعاطفة. لقد تأكدت أن «لوسيل

فيلمور» هي الأخرى سعيدة بأن رجلاً سيحضر لإدارة «أنكور بار» في غياب زوجها.

وكانت «كايتي» في مكتب والدها صباح ذلك اليوم لتتكلم «سيمتي» بالتليفون بخصوص حضوره لمعاينة المضخة المكسورة المثبتة على البئر رقم ١٠. وقد سميت تلك الغرفة «بالمكتب» لأنها تضم مكتباً وملفات المزرعة. وكانت الغرفة مصممة أصلاً لتكون غرفة للطعام قريبة من المطبخ إلا أنها لم تستعمل لهذا الغرض، بل أصبحت تلقائياً مكتباً للمزرعة حيث كان «جون فيلمور» يضع فيها خزانة أسلحته، ويزين جدرانها برؤوس الحيوانات التي اصطادها وعاركها، كما وضع فيها مقعده المريح المفضل. وفي السنوات الأخيرة وضع «جون فيلمور» سريراً ليستريح عليه أثناء النهار، وذلك بسبب زيادة الأعمال الكتابية وساعات السهر في تلك الغرفة.

ودخلت الأم في اللحظة التي أعادت «كايتي» فيها السماعة لمكانها، وكانت ذراعا «لوسيل» محملتين بأدوات التنظيف من مكانس وفراشي ومناشف. ولم تلتفت «كايتي» لها باهتمام إلا عندما أثارت كلماتها انتباهها وأوقفتها عند الباب وهي تقول:

«أريد بعض الملاءات النظيفة والبطانيات على طاولة الزينة يا «كايتي». هلا أحضرتها؟»

«لماذا تريدينها؟»

«لكي أجهز فراش السرير.»

ومرت لحظة صمت ريثما لمست السيدة «فيلمور» الغرفة العارية وقالت: «ما رأيك لو أعددت الغرفة للطارئ المنتظر؟»

«لم أفهمك» وهي تحدق بطريقة آلية.

«يحسن أن تساعديني في نقل خزانة جدك من البيت الصغير إلى هنا كما

ستحتاج «سام» لمدرسته في تلك. أما غرفة الأطفال وأدوات اللهو فيمكننا إخلاؤها من مكانها».

وجالت الأم بنظراتها الفاحصة في أرجاء الغرفة بينما فطنت «كاتي» إلى معنى ما يحدث. واسترسلت الأم تقول:

«يمكننا تنظيم الغرفة بطريقة ملائمة، بحيث يستطيع أن يضع ملابسه في مكان مناسب».

فاعترضت «كاتي» قائلة:

«أتعنين أنه سيقيم هنا في هذه الغرفة؟ ولماذا لا يقيم في المنزل الصغير حيث يسكن بقية العمال الأجراء؟ لماذا يسكن هنا؟»

ردت «لوسيل فيلمور» بصوت هادئ ينطوي على شيء من التأنيب:

«ليس السيد «ماكاليستر» أجيراً بالمعنى المعروف يا «كاساندرا»».

وكانت الأم لا تدعو ابنتها باسمها كاملاً إلا عندما تكون غاضبة منها. فقالت الابنة بحدة تدل على احتجاجها:

«لكن هذه غرفة أبي».

وترقرقت الدموع في عينيها، عندما أيقنت أن ذلك «الكلينت ماكاليستر» لم يكن يستولي على مركز أبيها فحسب بل على مكتبه الخاص أيضاً. لقد انسابت كلمات الغضب من فمها لكن الأم أوقفت سيل كلماتها بنظراتها التي تحمل معاني التأنيب وهي تقول:

«عليك أن تتغلبي على شعورك بالعداء، نحن من حسن حظنا أننا عثرنا على رجل بمثل خبرته وعلمه.

وإني أثق به».

وخرجت الكلمات كالهمس من بين أسنانها المطبقة من الغيظ ولم تصدق أمها ما سمعته فقالت وهي في قمة دهشتها:

«كاساندرا فيلمور!»

وبعد سماعها كلمات أمها اندفعت «كاتي» مسرعة خارج الغرفة، لقد قررت ألا تستمع للمزيد من الحديث عن «كلينت ماكاليستر».

نادت «كاتي» «سام» ليذهب للمنزل حيث كانت أمها تحتاج إليه ثم استقلت السيارة وأغلقتها بعنف. وبينما انزلقت الرمال تحت العجلات المسرعة، رأت «سام» وهو يتجه نحو المنزل وقد رفع قبعته احتراماً للسيدة «فيلمور» التي ظهرت في الشرفة وهي تحجب الشمس عن عينيها بيدها وراقبت «كاتي» وهي تسرع في الطريق. ولم تنتبه «كاتي» إلى أنها خرجت إلى الطريق المرصوف بالحصى، أو إلى صوت عجلات السيارة وهي تطحن الأرض متجهة جنوباً إلى الطريق العام ولم تهدأ ثورتها إلا عندما وصلت إلى «أجمات فوسيل بيغز» حيث لم يبق منها إلا رماد غضبها المكبوت. وفجأة أوقفت السيارة قرب الجسر الذي يعبر نهر «بيرنارا» ثم أدارتها لتعود ثانية إلى المزرعة.

«كلينت ماكاليستر»! وتصورته في ذهنها وهو يلبس حلة أنيقة مثل أهل الغرب، ويضع على رأسه قبعة بيضاء أنيقة، ويلبس حذاء طويلاً من الجلد اللامع ولا بد أنه يلبس رباطاً رفيعاً للعنق يثبته بمشبك مرصع بالماس وبطريقة لافتة. لقد سبق لها أن سمعت عن هؤلاء الكثير من أصحاب مزارع الماشية. وسمعت عن تفاخرهم بما كنزوا من ثروات وكم خسروا في رهاناتهم الغبية في نهاية الأسبوع بلاس فيغاس. ولا شك أن والد «ماكاليستر» رغب بإرساله إلى أستراليا ليتعلم عملاً حتى لا يبدد ثروة الأسرة. لقد سمعت عن تصرفات بعض الأحفاد المدللين لأصحاب المزارع من الرواد الأوائل. ولا بد أن ذلك الرجل القادم إليهم قد نقش في كتابة البيت باسم أسرته. لذلك لا عجب أن يكون الناس في المزارع فكرة خاطئة عن الأمريكيين ويتصورونهم قوماً مدللين يحبون المظاهر وذلك بسبب أمثال «كلينت ماكاليستر» الذي يعتبر كطاقة مهدرة في صندوق

تقاوم ميلها إلى الخارج.

وكانت كاثي تقترب من قمة أحد التلال عندما لفتت نظرها سيارة بطيئة للغاية، وهي تسير بسرعة أقل من سرعة سيارتها فلم يكن أمامها غير حلين: إما أن تضغط على مكابح السيارة حتى لا ترتطم بها من الخلف أو أن تسرع وتتخطاها، وفي اللحظة التي نظرت فيها أمامها لتتأكد من خلو الطريق، أدارت كاثي عجلة القيادة، وداست على البنزين لتقوم بالمرور بجانب السيارة البطيئة قبل أن تصل إلى التل التالي، ولم تكن كاثي تشك في قدرتها كسائقة ماهرة، إذ دارت بمهارة حول الزاوية ثم خرجت منها إلى يسار الطريق بعد أن سمح لها سائقها بذلك.

وظهرت عليها ابتسامة الرضا عندما مرت بجانب السيارة وتعدتها بمسافة كافية قبل أن يظهر التل أمامها، وكان صوت الهواء المنبعث من نافذة سيارتها يصم أذنيها ويمنحها شعوراً بالنصر حتى أنها لم تقلل من سرعتها بل زادتها إلى تسعين ميلاً وهي تنحدر في طريق النزول. وفجأة وبلا سابق إنذار سمعت كاثي دوياً أزعجها، وارتجفت عجلة القيادة تحت يديها وكادت أن تفلت منها.. لقد انفجرت إطاراتها، وبكل قوتها أمسكت بعجلة القيادة في اتجاه مستقيم، ورفعت قدمها عن البنزين وضغطت على الكابح.

وأخيراً توقفت السيارة، وكانت ذراعاها وساقاها ترتعد من هول الموقف، بحيث لم تقو كاثي على الحركة، بل أسندت رأسها إلى عجلة القيادة وهي تؤنب نفسها على السرعة التي كانت تسير بها محاولة التخفيف عن نفسها بالتفكير في أن لديها إطاراً احتياطياً في حالة جيدة، وفي لحظة فتحت باب السيارة بحذر، ووجدت نفسها أمام غيوم رمادية لم تر لها مثيلاً، وفي لمح البصر تذكرت السحب الثقيلة التي تنذر بالعاصفة، والتي كانت تغطي أحياناً الأشياء، فانعقد بلونها الذي ينذر بهدير الرعد.

رأسها لا تحرك: لماذا هذه السرعة؟ هل كنت تحاولين قتل نفسك أو تعتقدين لا تخافين الفشل؟ أمثالك يتسببون في مضايقة كل سائق عاقل على الطريق.

ثار غضب كاثي وردت على ذلك الغريب الشرس قائلة:

شكراً، إنني لست مصابة، كما أنه كرم منك أن تقلق علي وتسأل عني.

الذي يسأل عادة هو المخطئ... أين الرافعة؟

إنني قادرة على تغيير الإطار بنفسي.

وخرجت كاثي من السيارة، ومدت يدها وراء المقعد لتأخذ الرافعة وهي تنظر بكبرياء إلى الرجل لتتحدى نظراته الساخرة المتعالية التي تكاد لا تصدق ما ترى. وسارت حول السيارة لتصل إلى الإطار الأيمن الأمامي.

ولم تحاول كاثي إخفاء غضبها عندما سمعت نظراته تتعقبها، وبسرعة ثبتت الآلة الرافعة ورفعت بها مقدمة السيارة، وأخذت تحل الصواميل، ونجحت في حل الصامولة الأولى بيسر، أما الثانية فأبت أن تتحرك، وشعرت كاثي بنظرات الرجل الغريب وهي ترقبها وتحصي حركاتها، وبالرغم منها علت حمرة الخجل وجنتيها وهي تحاول أن تحل الصامولة بلا طائل، حتى كلت يداها من المحاولة الفاشلة رغم مجهوداتها العنيفة.

وقبل أن تبعد أصابعها أبعدها الرجل عن طريقه ليقوم هو بالعمل، ومع ذلك اعتدلت بغضب وهي تقول:

في إمكاني القيام بالعملية بنفسي.

قال وهو يسخر منها قائلاً:

هذا ما أراه فعلاً.

وبسهولة وخبرة فك الصامولة وقال لها ساخراً:

إذا أردت المساعدة في العمل، وساعدتني، احضري الإطار الاحتياطي.

فضغطت كاثي بقبضتي يديها بغيظ وهي في طريقها لإحضار الإطار، لما

أنزلها بطريقة الآمرة. وعند عودتها وجدت أنه نزع الإطار وبسرعة وضع الاحتياطية في مكانها. ولأول مرة سنحت لـ كايتي الفرصة لتأمل الرجل الذي فرض عليها مساعدته بدون استئذان بل بغلظة وكبرياء.

كانت قبعته من القش وقد أزاحها إلى مؤخرة رأسه كاشفاً بذلك عن شعر بني كثيف تخلله خصلات متوهجة من لفح الشمس. وكان جانب وجهه قوياً يتشكل بحدة من الجبهة الملساء إلى الأنف المستقيم ثم الفك المربع والذقن ذات العظام الشامخة. وكان حاجباه بنفس لون الشعر الثائر. أما الحاجب الأيسر فكان مرفوعاً في سخرية واضحة. وكانت عيناه الرماديتان واسعتين بعيدتين جداً وكأنهما سوداوان. وكان جلده مصطبغاً بسمرة زادت من شدة بياض القميص الذي يرتديه. وعرفت كايتي في اللحظة التي وقفت بجانبه أنه فارع الطول. ستة أقدام أو تزيد لما وصفته كايتي بأنه طويل ونحيل وهي ترقب ظهره بعضلاته القوية وخصره النحيل في بنطلونه البسيط.

أخيراً قام الرجل وقال:

«إليك الإطار السليم».

ثم نزع الرافعة من مكانها وقلّبها وأعادها إلى كايتي، وقد بدت على وجهه طيف ابتسامة، وظهرت كسرتان على خديه يمكن وصفهما لو كانتا في أي شخص آخر بأنهما غمازتان. أما في حالته هو فقد منحتا ظلال السخرية المرتسمة في عينيه ورأته كايتي وهو يعيد الإطار التالف إلى مكانه في السيارة، بينما أخذت هي تسحب الرافعة في غضب تروح بالخيط المكثوف والخرق.

وعندما تقاعست كايتي عن إبداء الشكر لمساعدته قال لها:

«لا شكر على واجب».

ردت كايتي قائلة:

«إنني لم أطلب مساعدتك».

فلمس قبعته بتحية هازئة وقال في سخرية واضحة:

«إذاً سامحيني وإن أكررها ثانية. لكن عليك أن تعدي سيارتك جيداً فقد لا يلازمك نفس الحظ في المرة القادمة».

عندما قفزت كايتي داخل السيارة، وأدارتها بسرعة، وانطلقت بأقصى سرعة في الحارة الجانبية وهي تضغط على البنزين متجهة بسرعة.

٥ ـ لقاء على غسل الصحون

بعد أن تركت «كاتي» مسافة بينها وبين السيارة ذات المقطورة، هدأت من سرعتها وسارت بسرعة معتدلة. فلم يعجبها أن تعترف لدواعي القلق التي أثارت نفسها أن انفجار الإطار قد أفزعها ولو قليلاً. وشعرت كأنّ الدنيا ضاقت لعيونها التي، حتى هو... فقد أتى خطر مهين من الغابات الكثيفات. لا عجب إذن أن تعي المرأة بتلك الحركة التحريرية التي تزهو بها على حذائها الرجال.

وعندما وصلت إلى المزرعة كانت «كاتي» تقود سيارتها بسرعة أقل من السرعة التي تركتها بها. وتوقفت عند محطة الوقود بالمزرعة لتملأ خزان السيارة الذي كاد يكون فارغاً. ورأت «سام» وهو يحاول تهدئة أحد العجول الصاخبة. وبدا كأنه انتهى من معاونة والدته في نقل الأثاث استعداداً لوصول «فليبت» ماكالبستر. وبعد ملء خزان السيارة قادتها «كاتي» إلى الشجرة الوحيدة الوارفة الموجودة في الفناء وأوقفتها تحتها وجاء الكلب «شيب» يرحب بعودتها بحماس شديد عبر عنه بحركاته السريعة بها.

وبمجرد أن وطئت قدما «كاتي» درج الشرفة في طريقها إلى المنزل، سمعت صوت سيارة أخرى تسير في الطريق المؤدي إلى البيت. ولأول وهلة، حجبت الأتربة التي أثارتها السيارة القادمة الرؤية، بحيث لم تشبها جيداً وهي تدور حول منعطف التل. ولم يستطع «شيب» بحاسة سمعه الفائقة أن يتعرف على صوت السيارة المقتربة من المنزل. لذا وقف شعر «شيب» على ظهره ثائراً وهو

يتقدم بشجاعة متحمساً للطفل الجديد القادم إليهم.

وعندما تعرفت «كاتي» على السيارة والمقطورة حاملة الجواد، وضعت يدها على صدرها في حركة كأنها تقرّ وتعقب، بينما ضغطت على شفتيها بحركة تدل على الصرامة. وتوقفت السيارة أمام المنزل، ونزل منها الرجل الغريب الطويل الذي سبق له أن عاونها في تغيير الإطار. ولم يهتم الرجل بتهديدات «شيب» الشرسة وقالت «كاتي» باستهزاء:

«لم تكن هناك حاجة لأن تتبعني، فأنا قادرة على العودة للمنزل بدون مساعدتك».

فقال الرجل بصوت أجش عميق، لكنه هادئ، مع ما فيه من لهجة الأمر:

«أليست هذه هي مزرعة «فيلبور»؟»

فردت عليه «كاتي» بحدة وتبرم:

«نعم، ولكن إذا كنت تبحث عن عمل فيمكنك أن تعود من حيث أتيت، لأننا لا نحتاج إلى عمال، وإذا احتجنا إليهم فلا نريد استخدام «رعاة البقر» من النوع الرخيص».

والتقت نظراتها في الجو صامتة بين قلق «شيب» وتذمر لوجود الرجل الغريب، وبالرغم من تأنيب الغضب الواضح في عيني الرجل الرماديتين، إلا أن «كاتي» شعرت من رؤية بريق من الدهشة في عينيه تومض بطريقة كأنها التهام وتسلية. وشعرت «كاتي» كأنها زهرة تحاول أن تمنع أسداً مفترساً من التعرض لطريقها. ولكن ما يجعل هذا الشعور من يأس لا طائل من ورائه، فهذا الغريب ليس إلا منطقياً تسلل إلى مزرعتهم. وسمعت «كاتي» والدتها وهي تسأل:

«هل سمعت صوت سيارة تقف هناك؟»

وجاء السؤال من الداخل قبل أن تفتح الأم الباب. وقبل أن تجيبها «كاتي» رأت «لويس فيلبور» الرجل الغريب واقفاً أمام الكلب الزمجر، فصفقت الأم بيديها لتدعو الكلب إليها حتى يترك الرجل، كما ألقت على ابنتها نظرة تأنيب

وعتاب. ويأتي رفع الغريب قبعته تحية للوالدة وتقدّم نحوها وهو يسأل:

«هل أنت السيدة «فيلمور»؟

«نعم. أنا هي. هل من خدمة نسديها إليك؟»

وكان صوت الأم يدل على ترحيب ودي وكرم طبيعي وهو أمر عادي بالنسبة إليها.

«اسمي «ماكاليستر». «غليننت ماكاليستر».

اندهشت الأم وابنتها أشد الدهشة للكلام. وكان «غليننت» يرغب في فصل كلامه عن شخصيته بالنسبة إلى «كابي» بالذات. فقد أزاحت يديها من خصرها بينما خفقت من كتفيها الشاحبتين بكبرياء، بحركة تدل على عدم تصديقها لما تسمع. ولو كانت تحدثت لنفسها من الدهشة لما تزيد عن ما يلفتها أكثر مما فعلت. فقد انتابها شعور فجائي لم تعرف كيف تواجهه. وتنبهت إلى أمها وهي تقول للقادم الغريب:

«إننا لم نتوقع حضورك قبل منتصف الأسبوع».

أما «كابي» فظلت تحدق في الرجل الذي لم يشبه تصورها السابق. «غليننت ماكاليستر» الذي بدأ يقول:

«أرجو ألا أكون تسببت في مضايقتكم».

فابتسمت «لوسيل فيلمور» وهي تقول مرحبة به:

«كلا. لقد انتهيت لتوي من إعداد بعض الفطائر. أما القهوة فهي دائماً على النار. هلا تفضلت بالدخول؟»

فأشار نحو القاطرة وقال:

«يسرني ذلك. لكن يجب أن أهتم بأمر جوادي أولاً».

«سترشدك ابنتي «كابي» إلى مكان تتركه فيه».

وما أغضب «كابي» أن والدتها نادتها بذلك الاسم الذي لا تحبه. كما أنها لا

ترغب بإطلاع ذلك الرجل على أي شيء خاص بالمزرعة. إلا أنها لم تكن في مركز يسمح لها بعدم إطاعة والدتها. فقد نفذت أمرها وهي مرغمة.

والتقت نظراتها الثائرة بنظرات الرجل المتهكمة برهة قبل أن تتجه «كابي» نحوه. وقد عرفت من صوت انغلاق الباب أن الأم دخلت إلى المنزل. وظلت نظرات «كابي» متجهة إلى الأرض فترة. ثم نظرت إلى خلف القاطرة حيث ربطها «غليننت ماكاليستر». وكان العداء الذي شعرت به نحوه قبل أن تقابله، والعداء الذي شعرت به نحو الغريب الذي فرض عليها مساعدته بغطرسة وكبرياء قد تجمعا معاً في شعور هائل من الكراهية. وكانت عيناها مثل قطعتين من الفحم المشتعل وهما تلتهبان بالشر والمقت، بينما أخذ الرجل يسحب جواده من القاطرة.

ولو كانت الظروف مختلفة لرغبت «كابي» في مداعبة الحصان الذي رأته. فقد كان من نوع «الأبالوسا» الأسود اللامع المنقّط باللون الأبيض في بعض أجزاء جسمه. وكان ما جال في خاطرها وقتئذ هو أن في مقدور أي شخص أن يقتني جواداً كهذا إذا كان لديه القدرة المالية على شرائه. ولو تذكرت «كابي» في ذلك الوقت الآن لما انحدرت في عينيها غير هذا الحصان ليقتنيه «غليننت ماكاليستر» ويركبه ويجلب به الأنظار إلى نفسه ويستعرض ما عنده.

«أريد اصطبلاً». فسألته: «إن جياد مزرعتنا تنطلق في الأحراش. وأحسب أنك تعرف ذلك بسهولة».

«لن أطلقها الآن».

«إنه أفضل جواد، وأفضل أن يكون منفصلاً عن غيره، ولا داعي للاصطبل».

وكان رده متضمناً منذ سؤال «كابي» تلقائياً. وأشارت نحو الحظيرة وقالت:

«يستطيع «سام» الذي يعمل في مزرعتنا أن يجد مكاناً مناسباً لجوادك فهو يلقي بعض المراعي الصغيرة اليوم».

وسارا نحو المبنى يتبعهما الحصان بهدوء وصاحبه يشده من جانبه. وكان سام متكئاً على أحد الأعمدة والسيكارة تتدلى من فمه، وهو يتحدث بهمس للمهر الصغير الواقف بجواره، ولم تشأ كايسي أن تفسد صفو استمتاعه بهذه الخلوات التي كان سام يؤكد فيها أن المهر الذي كان يستمع بإنصات إلى كل كلمة يتفوه بها سام. ولم تكن هناك حاجة لانتظار سام وأبيها واقفين يرقبان، إذا كان يشعر فعلاً بوجودهما، ونظرت كايسي بطرف عينيها إلى فلينت متوقعة أن يبدي تأففه ونفاد صبره. لكنه لم يكن مستاء، بل كان يراقب المنظر بنفس الاهتمام الذي كانت كايسي تبديه عادة عندما كان سام يقوم بعمله السحري في تدريب الخيول الصغيرة. وأخيراً قاد المهر إلى بوابة المرعى ونزع عنه اللجام وربت على عنقه وهو ينطلق نحو الحقول الواسعة.

وعندما عاد سام إليهما، رأت كايسي وجهه مبتهجاً لمرأى [illegible] الرئيس الجديد. فيما كانت أفكار سام وهو يصافح الرجل الغريب، تعود إلى [illegible] كايسي [illegible] الأمر الذي لا [illegible] سام [illegible] سام الجواد الجديد مبتعداً عنهما وعادت كايسي بخطاها إلى المنزل. وكانت تتمنى أن تتخلص من صحبة ماكاليستر بتركه مع سام، فقد كانت متأكدة أن فلينت لن يدع سام يقوم بالعناية بأمر جواده الثمين بدون ملاحظته هو نفسه. إلا أن فلينت عاد معها وبعد برهة قال:

- قابلت أباك صباح اليوم وراجعنا معاً كثيراً من الأمور المتعلقة بالمزرعة. لكني سأحتاج إلى مساعدتك لي في الأسابيع القليلة القادمة يا كاسندرا.

فحدجته كايسي بنظرة حانقة وسألت نفسها عما عساها أن تفعل. هل تسجد عند قدميه شاكرة له إلقاءه بعض الفتات إليها كصدقة منه في حين أن الفتات كلها يجب أن تكون لها ومن حقها؟ لذا قالت له بلهجة التهكم:

- إنه لكرم منك أن تقول هذا، خاصة وأنه موجه إلى أنثى.

وعندما رفع حاجبيه مستغرباً وتابعت كلامها قائلة:

- أرجو أن تعذرني ولكنني يجب أن أذهب إلى هاريسون لإصلاح الإطار وإنني سأتناول الغداء هناك.

واستدارت كايسي وانصرفت بحدة تاركة لأبيها مهمة الترحيب بالضيف الجديد، لأنها أدركت بينها وبين نفسها أنها لن ترحب به ولن تتفوه بأي كلمة ترحيب زائفة لا تشعر بها نحو فلينت بالذات. إنه رجل دخيل وغير مرغوب فيه.

وعندما أدارت السيارة نحو الطريق رأته ينظر إليها، ورأت مظهره ينم عن غضبه من سوء أدبها معه ومحاولة تصرفها، ومع ذلك كان رأسه يميل قليلاً إلى الجنب في يسر وكأنه يعتبر الأمر طريفاً جداً.

وعند عودة كايسي من المدينة قابلت سيسي وهو في طريقه إلى مزرعته، فاستخدمت [illegible] الحقل ورأت كايسي أوراقاً موضوعة في السيارة [illegible] الأخيرة [illegible]:

وعندما أنزل سيسي الصحيفة لإعادتها إلى مكانها الأصلي سألها:

- لماذا تبدو عليك الكآبة اليوم؟

فرنت إليه بعاطفية غيرت من ملامحها

- ذلك جيد.

- ماكاليستر؟ فلينت ماكاليستر؟

ثم أخرج منديلاً من جيب قميصه وتوقف عن عمله لفترة قصيرة وقال:

- هكذا قابلت الرئيس الكبير. ما رأيك فيه؟

- إنه ليس كبيراً بل فارع القامة فحسب.

واستدارت كايسي في يأس واستندت على السيارة، وقالت وهي تنزل إلى

www.liilas.com

«إنه يا سيمبي أمر لا يعنيك.»

وبعد استدرجها سيمبي إلى الحديث، فيما هي تقص عليه مقابلتها له في الظهر بين الماء. احتفظ سيمبي بهدوئه الخارجي بينما أطلقت بهاء تاريخ الضحكة في مكانها، وهو يلاحظ الأسى في صوتها بسبب غضبها من قسوة ماكاليستر. وكان سيمبي يعرف أن كاتي لا تحب أن يراها أحد عندما تستسلم لجانب الأنوثة فيها وتبدي الضعف الذي تعتبره نوعاً من الجبن، وأنهت قصتها بقولها:

«كان الموقف فظيعاً يا سيمبي. لقد عاملني وكأنني طفلة هاربة من المدرسة وليست لديها ذرة من الحكمة. ولا شك يمكنك أن تتخيل رأيه في أي سيدة تدير مزرعة. لقد شعرت بأنه سعيد ويميل إلى السيطرة عندما تنازل وطلب مني مساعدته.»

وسألها سيمبي الذي وقف بجانبها:

«وكيف عرفت أن هذا هو شعوره؟ إنك لا تعرفين الواقع! لقد يكون فعلاً في حاجة إلى مساعدتك وإرشادك له في هذه المهنة. إنك أنت التي تعانين من مركب النقص.»

«كلا، هذا غير صحيح.»

«إذن لماذا تأخذين كل عبارة على أنها إهانة موجهة إلى بنات جنسك؟»

قال سيمبي عبارته هذه وهو يبتسم ليخفف من حدة كلماته حتى لا تغضب كاتي.

«هذا غير صحيح! كيف نشأ هذا الموقف من أول الأمر؟ لأنني لست رجلاً، ولذلك اضطر والدي لتعيين شخص لإدارة المزرعة لكي يرضي هؤلاء الرجال في البنك الذين لا يؤمنون بأن في استطاعة المرأة أن تدير مزرعة، ولا بد أن هذا الرجل يتفق معهم في الرأي.»

«أرجو أن تعرفيني بهذا الطاغية الذي تولى أمر مزرعتكم.»

إلا أن الفرصة لم تسنح لكاتي أن تفعل ذلك. فعندما عادا إلى المنزل في المزرعة أخبرت السيدة فيلمور ابنتها بحنق بأن السيد ماكاليستر ذهب ليتفقد المزرعة بمفرده وقد أنبتها أمها على غيابها قائلة:

«كان من واجبك أن تعرفيه بالمزرعة بنفسك يا كاتي.»

وبالرغم من النظرة الثائرة في عينيها، فقد خفضتها خجلاً. فإن لوم السيدة فيلمور القاسي، وتأنيبها قد أشعرا كاتي بتصرفها الصبياني. وبالرغم من كراهيتها للاعتراف بخطئها فقد شعرت بأنها بحاجة إلى الاعتذار. إلا أن الأم قالت:

«لا داعي للاعتذار لي بل عليك أن تعتذري للسيد ماكاليستر نفسه.»

فسألتها كاتي بغضب ظاهر:

«ومتى سيعود؟»

«قال إنه إلى العشاء في الساعة السابعة.»

فقال سيمبي رداً على عبارة السيدة فيلمور:

«لا يمكنني الانتظار حتى ذلك الوقت. قد أحضر الليلة لحفلة رقص كاتي الكبرى.»

وابتسم ابتسامة جانبية صوبها نحو كاتي لتداعبها وقال لها:

«هل تصحبينني حتى الإسطبل؟»

«مع شكري.»

هكذا سألها بلهجة بالفلاح وهو يستند إلى جانب الزريبة حيث كانت كاتي تحلب بقرتهم جيرزي.

«لا أدري.. فهو شديد النحافة. ربما ستة أقدام وبوصة أو بوصتين أي بالفرق بوصتين في الطول.»

وحاولت إخفاء لهفتها المتزايدة بأسئلة أخرى واستطردت تقول:

«سيبدو مصيرنا طريقاً منعرجاً ويغلب عليه التهكم، ولكن ما أهمية شكله».

ولم يهتم «مارك» بسؤالها وعاد يقول:

«وكم عمره؟»

«وكيف لي أن أعرف ذلك؟ إنني لم أسأله أو أطلب منه توضيح هذه الخصوصيات التي لا تهمني».

«حسناً، حاولي أن تخمني سنه».

«لعله في أوائل الثلاثينات».

ورمقت «كاتي» من جانب النظرة وهي تزيح الرماد من تحتها وتهم واقفة وقال «مارك» وهو يأخذ الرماد من أخيه:

«يبدو أنه رجل مسل».

«يا إلهي، يا «مارك» إنك تفكر فيه كأنه المنقذ. الآن سيبدو إنه نموذج الآتي للتنكر والتعرف لأحد الزائرين الأغنياء، والذي يحاول محاولة الظهور كأحد رعاة البقر».

وعندما سمعت «كاتي» صوت سيارة قادمة إلى الفناء بصحبة نباح الكلب قالت:

«قد يكون هذا هو الرجل العظيم».

واتجه «مارك» نحو الباب لكنه أبطأ في سيره عندما حذرته «كاتي» من سكب الحليب، وظلت في الزريبة أطول مدة ممكنة تشغل نفسها بالعجول التي سبق أن أطعمها «مارك» قبل أن تتجه أخيراً للمنزل. وكانت الساعة وقتئذ تقترب من السادسة عندما تقول والدتها أن العشاء سيكون معداً في الساعة السادسة تماماً فعلاً بعد في موعده وقد أفلحت في محاولتها التلكؤ، فعندما دخلت إلى المطبخ لم يكن «للسيد ماكاليستر» هناك، وبسرعة بدأت «كاتي» في

الغسل، تمسكت بيديها قبل محاولة والدتها في وضع الأطباق الساخنة على المائدة. وبعد ثوان دخل «مارك» الغرفة وتبعه مباشرة «السيد ماكاليستر» وحاولت «كاتي» ألا يتجه نظرها إليه، لأنها شعرت بالغضب والضيق والتفاهة ومع ذلك كانت كل حواسها منتبهة إلى وجوده. فرائحة الصابون وعطر الحلاقة كانا تمتزجان برائحة اللحم المشوي، ومن ركن عينها رأت الأزرق الناصع بين ملابس قميصه ولون شعره الداكن الذي كان لا يزال يلمع بسبب ابتلاله بالماء بعد الحمام، كما سمعت صوت سحب كرسيه على الأرض وهو يجلس أمام المائدة، ونبرة صوته العميق وهو يرد على أسئلة «مارك» بحسم واهتمام.

وعندما تم وضع جميع الصحون على المائدة لم يكن أمام «كاتي» مناص من الجلوس هي الأخرى. وكان الكرسي الرحب الخالي هو الذي على يمينه، وأحست نحوه بانجذاب وهي تعلم جيداً أن هذه النظرة، وكانت نظرته الرمادية يطالعها وهو يتناول وهي ورأسه رداً عن تحديها وتناولت إليه «كاتي» «البطاطا» وهي ترفع ذقنها متحدية، وكانت متأكدة أن الرجلين يلاحظون صمتها، إلا أن أسئلة «مارك» كانت لا تنتهي بحيث ملأت الفراغ الذي خلفته هي بسكوتها.

«أرجو أن تقص علينا ما تعرفه عن «استراليا»».

فقال «مارك» وهو يحث الضيف على الكلام، بينما يأخذ قطعة كبيرة من البطاطا رغم نظرة أمه التي تحمل معنى التأنيب على تصرفه الصبياني.

«هل تشكل مزارع الماشية هناك؟»

فرد «السيد» بهدوء قائلاً:

«كانت المزرعتان اللتان زرتهما هناك تقعان في أواسط «استراليا»، والأرض هناك منبسطة ويوجد على بعدها قليل من الزراعة، وعمل الناس هناك لا يختلف كثيراً عن عملنا هنا. وكل ما هنالك هو ضرورة التعرف على الاصطلاحات التي يستخدمونها كالمزارع مثلاً اسمها «المحطات» وهكذا، وبسبب اختلاف

الفصول. عندهم لا يطلقون المواشي بكثرة والحبوب كما نفعل نحن. أما إذا طلبت لحماً في مطعم لا تجده طرياً كاللحم الذي تعودت عليه هنا بالرغم من أن نكهته جيدة».

«وهل رأيت كثيراً من حيوان "الكانغارو"؟»

ونظرت "كاثي" إلى "فليت" نظرة تنصحه بها أن يستمر في احتكار الحديث كله بمفرده، ومع ذلك تابع كلامه مع "مارك" بصورة اعترفت "كاثي" لنفسها بأنها ممتعة إلى حد.

«نعم رأيت عدداً منها وهي تعتبر من الحيوانات المتعبة. أما أكثر الحيوانات الرديئة فهو "الدنجو"».

وأراد "مارك" أن يستعرض معلوماته فقال، وكل انتباهه موجه إلى "فليت":

«هل هي أحد أنواع الكلاب المتوحشة؟»

«إنها تتزوج من الكلاب المستأنسة مما يجعلها ذكية بحيث يصعب صيدها. وهي تأتي في قطعان كبيرة، وتجوب المناطق الشاسعة وتهاجم العجول والمواشي الرضيعة و"الدنجو" يشبه الذئب، إلا أنه أكثر شراسة إذا حاول أحد مطاردته».

وانتهى العشاء بسرعة بعد أن استمر "فليت ماكاليستر" يقص أحداث تجربته في السنة التي قضاها في "استراليا"، واكتشفت "كاثي" رغماً عنها أن انتباهها لا يقل عن اهتمام أمها وأخيها بحديث "فليت". ففي خلال تناول العشاء تعلمت من "استراليا" أكثر مما تعلمته من كتب الجغرافيا بالمدرسة وذلك بفضل مقارنة "فليت" بين الحياة وبين مثيلتها في ولاية "نبراسكا" التي تعرفها جيداً. ومع ذلك ظلت محتفظة بشعورها الذي لا يدل على الاهتمام بما يقول، بل والذي يتسم باللامبالاة.

وأخيراً قال "فليت" وهو يشرب آخر قطرة من فنجان القهوة:

«هذه وجبة شهية جداً يا سيدة "بالمور"».

فقالت له "لوسيل بالمور" والابتسامة تشع في وجهها:

«إننا في هذه الأسرة نتعامل بأسمائنا المجردة يا سيد "ماكاليستر". فناديني باسم "لوسيل"».

«إذن يجب أن تنسي لفظ السيد "ماكاليستر" وتناديني باسم "فليت"».

ورأت "كاثي" كيف حركت الابتسامة وجهه من تعبير الواثق من نفسه إلى تهكم، إلى نظرة ساخرة لا تقاوم، وهو يقول:

«بما أن هذه أول ليلة لي هنا، وربما لا تسنح لي الفرصة لتناول العشاء ليلة أخرى بدون أعمال كتابية، أرجو أن أعبر عن تقديري لضيافتكم وذلك بمساعدتكم في غسل الصحون».

وتركت "كاثي" شدة الصمت الذي فرضته على نفسها:

«إنني أقوم بهذه المهمة بدلاً من والدتي».

غير أن "مارك" علق على كلامها قائلاً:

«وهي تكره هذه المهمة لغاية الكراهية».

وكانت عبارة "مارك" في محلها لكنها عملية فرضها ضمير "كاثي" عليها تكفر بها عن عدم مشاركتها لوالدتها في شؤون المنزل.

«في هذه الحالة لا بد أنها ستحب بعض المساعدة».

وبرقت نظرة "فليت" الداكنة وهو يقول هذه العبارة، إلا أن "كاثي" شعرت بالضيق من قصده.

وكانت ترفض مساعدته إلا أنها لم تستطع مقاومة رؤيته وهو واقف أمام الحوض الملئ بالصحون، منحنياً وهو يرتدي مئزر والدتها المزركش حول خصره، جعلت عينيها تبرقان في خبث ودهاء، وهي تقبل مساعدته بدلال زائف.

وبدأت عملية غسل الصحون في صمت وقد اختار "فليت" أن يقوم هو بمهمة الغسيل لأن "كاثي" تعرف مكان الصحون بعد تجفيفها. والغريب أن

فليت بدا طبيعياً، وهو واقف أمام الحوض، وكان يشعر برغبة كاسي في الاحتفاظ بالتباعد الوحيد بينهما وقصر الكلام على الرسميات، فقال أخيراً مبدداً صمتها:

ـ لاحظت أن التبن في الحقل الغربي جاهز لحصاده.

وتعمد رغبتها في موافقته على كل ما يقوله، ردت عليه بتفاؤل قاتل:

ـ ربما الأفضل أن نحصده في نهاية الأسبوع القادم، وبرغم أن الوقت مبكر إلا أننا حصدنا نفس الحقل في الأسبوع الثاني من حزيران يونيو في العام الماضي.

ـ وإن طائرتكم ليست هنا حاضرة، وأريد أن ألقي نظرة من الجو على المزرعة بأسرها حتى أكوّن فكرة شاملة عن مواصفاتها.

ونظر إلى كاسي بقلق يتوقف على وجهها برهة ثم قال:

ـ هل يمكنك استعارة طائرة من الجيران؟

ـ أعتقد أن آل سيث سيسعدون لإعارتي طائرتهم في أي وقت، ولا أعرف شعورهم نحو إعارتها لشخص غريب.

وبرغم إيلامه، ولو أن الملاحظة لم تنجح في اختراق حاجز ثقته بنفسه فقد قال:

ـ لا أنوي أن أقودها بنفسي. قالت لي والدتك أنك معتادة على قيادة الطائرة كاعتيادك على ركوب الخيل.

واتسعت عيناه الرماديتان بنظرتها التي عتمتها الدهشة في شيء من التسلية:

ـ طبعاً لا أستطيع رؤية الأراضي جيداً إذا كنت خلف عجلة القيادة.

فقالت مهتمة:

ونهضت كاسي. أنها ستكون قريبة من ذلك الرجل لمدة ساعتين أو ثلاث. كما عرفت يزيد من الصعوبة أن تطلعه على المزرعة سيكون مفيداً لنا سأتفقد.

ـ متى تريد مني تدبير أمر هذه الزيارة؟

ـ بعد غد.

شكرت له كاسي وهي تسحب صحناً من الماء إذ بدا لها أنه لن يمنحها الوقت الكافي لتعتاد على فكرته.

ـ سأسأله إذا كانوا في حاجة إلى استخدام طائرتهم غداً.

ـ ربما يحتاجون إليها.

عادت كاسي إلى عملها في تجفيف الصحون، فوقفت على أطراف أصابعها ومدت ذراعيها نحو الرف الثالث من الخزانة المثبتة فوق الحوض، ممسكة بالصحن في يدها بينما حاولت أن تزيح بعض الأواني عن طريقها باليد الأخرى، لتقع على رأسها عدد من الأطباق البلاستيكية بينما كانت تسحب الأواني الزجاجية نحو الرف، الأمر الذي أدى إلى سقوطها عليها لولا أن كاسي سندتها على الحوض وهي تحاول أن تظل قابضة على ما أمسكته بينما أحست بزلل قدميها يغوص في مياه الغسيل، وبينما تحاول إيجاد طريقة لإنزال الصحن ثانية وإنقاذ الأواني من الوقوع، لاحظت أن فليت يستجيب لحرج موقفها.

لقد أتاح له طوله الفارع أن يصل الرف الثالث بلا عناء، ولكن، ليفعل ذلك، اضطر أن يقترب بجسده فوق رأس كاسي، وعندما لامس جسده بعضلاته القوية جسمها أحدث لديها توتراً قوياً بينما حاولت هي السيطرة على ارتعاشة جسمها حيث لامسها، وسمعت في الخارج صوت باب يغلق وصوت سارة وهي ترحب بالزائر القادم.

ـ أهلاً يا سيث، كنت متأكدة أنك ستحضر الليلة.

واستطردت سارة قائلة بصوت كان يرن في المطبخ بوضوح:

ـ ستحب هذا الرجل الجديد كثيراً من الناحية، فهو الآن في المطبخ يساعد كاسي في غسل الصحون.

وكان فليت قد أنزل الأواني الزجاجية ووضع الصحون برشاقة، واستطاع

وجه «كاتي» بلون أحمر عندما نظر إليها «فليت» وجالت بخاطر «كاتي» رغبة شديدة في أن تخرج إلى الشرفة ولكن أخافها الصوت العالي الذي أمرها إلا أنها اختارت أن تجمع أغطية الأواني التي تبعثرت على الأرض.

وقال «فليت» وقد عاد إلى الكرسي والصحون الباقية لديه:

ـ هل أفهم أن صديقك قد وصل؟

ـ إنه «سيمتي»، أقرب جيراننا إلى بيتنا.

وحاولت «كاتي» أن تسيطر على الغضب بجهد بعد أن أثارها بوقاحته وتطفله.

ـ هل هو الذي سنستعير الطائرة منه؟

ـ نعم.

ـ حسناً، سنعرف الليلة إذا كان في إمكاننا الحصول عليها.

٦ ـ طائران في الهواء

حاولت «كاتي» جاهدة أن تتذكر «سيمتي» ما أمكنها، وتسيطر على الحديث معه في تلك الليلة لتنفس عن نفسها وتنتقم من «فليت»، وتعمدت أن تدير الحديث عن أشخاص وأماكن لا يعرفها غيرهما في المرج «فليت» وتتركه جاهلاً بما يقولان. إلا أن «سيمتي» لم يساعدها على ذلك، إنما بسبب غبائه أو عناده، بل أخذ يدير الحديث ويعود به مراراً لموضوع الزراعة وتربية الماشية، وجلست «كاتي» في صمت مخنوقة وهي تستمع إلى مواضيع البذور والري والعلف وتأثير الجو على الزراعة والماشية. كما أن «فليت» لم يعطها الفرصة لتطلب موافقة آل «سميث» على استعارة طائرتهم للجولة التفتيشية، فسؤال بسيط مهذب من «فليت» حقق مطلبه وأكد «سيمتي» بقدومه من المرج الثانية غداً. وعندما وجدت «كاتي» نفسها وحدها مع «سيمتي» بعد أن تركهما «ماكاليستر» أخذت «كاتي» تؤنب «سيمتي» على لطفه الزائد له.

ـ الطريقة التي وعدت بها إعارته الطائرة كلما احتاج إليها كانت طريقة مبتذلة ومقززة، وتخيل إلي من فرط احتفائك به أنك تريد أن تعلق لافتة تقول فيها إن طيار «ماكاليستر» كان يجلس هنا.

ورد عليها «سيمتي» وقد ضاق ذرعاً بتصرفاتها وتوترها من «فليت ماكاليستر»:

ـ لماذا تبالغين في الأمور هكذا؟ أنت تعلمين أن طائرتنا كانت ومازالت دائماً تحت تصرفكم منذ أن تعطلت طائرتكم، ويبدو أن السيد «ماكاليستر» لم يعلم بذلك.

والواضح أنك لم تفكر به، بل صوّرت له الوضع وكأنه من الصعوبة بمكان فكل ما فعلته أنا أني طمأنته على استعدادي لمساعدته كلما احتاج إليه.

فنفرت «كاري» من عبارات «سيمي»، وشعرت أنها تقف وجهها ضد فلينت ماكاليستر، ففي يوم واحد رأت انبهار أختها الأصغر به، وتأثر أمها بظرفه وأدبه ووسامته، والآن ضاع أملها تماماً بانضمام «سيمي» إلى مجموع المعجبين.

انساب السحاب الأبيض فوق الطائرة بينما انطلقت «كاري» تنظر نحو الرجل الجالس في الكرسي المخصص للركاب، وبينما نظرت في العينين اللتين كانتا ترقبانها وتلحظان حركتها الحائرة، كلما ازدادت أفكارها كآبة. لقد مرت ساعة وهما طائران في الهواء.

تساءلت «كاري» من نظراته وسكونه، محاولة ألا يبدو عليها الغضب من موقفه منها، وكأنها تريد أن تنتهي من تلك المهمة الصعبة وهي البقاء معه في مكان واحد.

ـ هل تريد أن ترى غير ذلك؟

فأجابها وكأنه لا يأبه إلا بالمهمة التي أمامه والتي جاء من أجلها:

ـ سنحلق مرة أخرى فوق الأرض المزروعة في الجزء الجنوبي، وأرجوك أن تطيري على ارتفاع منخفض هذه المرة.

وأومأت برأسها تعبيراً عن موافقتها. وعندما مالت بجناح الطائرة قبل أن تتم دورتها، ثم استقرت على ارتفاع لمائة قدم فوق سطح الأرض. كان الطيران أحد الأشياء التي تحبها «كاري»، وكانت فرحة ومستمتعة لاستجابة الطائرة إلى لمساتها الرقيقة كاستجابة الجواد المدرب لإشارات صاحبه، كما أن الطيران يمنحها شعوراً بالانفصال عن متاعبها، ففي الطائرة الصغيرة هذه، لا يوجد شيء على الأرض. وقال لها «فلينت» بدون أن ينظر بجانبه للمعاينة:

ـ وإنك طيارة ماهرة.

فأجابت بهدوء وبلا غرور بل بثقة:

ـ وأشكرك.

ـ فقال لي والدك إنه لا يمكن الاستغناء عنك في المزرعة، ويبدو لي أنه من الذين يقولون ما يعنونه.

فأجابت «كاري» بلغة المرأة الواثقة:

ـ نعم، هو من ذلك النوع.

وشعرت «كاري» بشعور دافئ من الفخر بأبيها، وبالمديح الذي وصفها به، وعادت في قيادتها للطائرة أن تعلو الهواء وتطير في خط مستقيم، وقالت لـ«فلينت» الذي أخذ ينظر إليها:

ـ والأرض في الجانب الآخر؟

وعاد «فلينت» إلى موضوع والدها فقال:

ـ ويعتقد والدك أن في استطاعتك إدارة المزرعة بمهارة وكفاءة.

فقالت «فلينت» وهو ينظر من النافذة التي تجلس بجانبها إلى ساحة غير مزروعة بعد وهي تقابل نظرته بثبات، وتحاول ألا تخرج عن الموضوع الذي أتيا من أجله:

ـ هل تريد أن تتفقد المزرعة؟

ـ هذا هو ما أريده.

ـ والأرض الأخرى؟

ـ دعيني في معرفتك أكثر مما أعرفه الآن يا «كاسيدي».

قالها ببساطة مع وجود لمحة جافة في كلماته، أشعرت «كاري» بأنها الهدف الأساسي من الرحلة.

ـ كنت متأكداً من أنني إذا حاولت التقرب منك في المزرعة، ستهربين مني كما فعلت أمس.

ونظر حوله داخل الطائرة واستطرد يقول:

بالشرق بأنه لا يمكنك الهروب حتى الآن.

- دعنا نتكلم بصراحة يا سيد ماكاليستر. إنني لم أرحب بقدومك إلى المزرعة ولم تكن دعوتك لمعاونتنا فكرتي أو فكرة أبي، بل هو البنك الذي أراد رجلاً في موقع الإدارة.

وتمنت كاتي وهي تتكلم، أن تضغط على لفظ رجل.

- وبصراحة لم تعجبني قبل أن أقابلك أما الآن فـ...

فأجاب غلينت محاورها قائلاً:

- ما زلت لا أعجبك. تصرفاتك أوضحت مشاعرك. لكن لا بد من وجودي هنا مؤقتاً.

- يا له من سوء حظ لنا نحن الاثنين.

- إذا كان هذا موقفك دائماً، فأمامنا شهر عاصف في منتهى الصعوبة.

ونظر غلينت إليها في تساؤل، وأتم كلامه قائلاً:

- أم تقبلين الواقع بأنني هنا بديل مؤقت لوالدك.

قالت كاتي في قرارة نفسها: إنك لن تستطيع أن تملأ مكانه.

وعاد غلينت يقول:

- فالأمر متروك لك. ففي إمكانك معاملتي كغريب أو كدخيل في المزرعة مثل جيرانك أو معارفك. وفي الحالتين أود أن أذكرك بحكمة هندية قديمة تقول ألا تحكم على إنسان قبل أن تمشي عشرة أميال في حذائه، أي حتى تضع نفسك في مكانه وتشعر بشعوره.

فاستدارت لتضعها على منضدة القهوة وهي تتعجب من فلسفته المتغطرسة. فجزء منها يعترف بصدق عبارته. أما الجزء الأكبر فتبرم لاضطرارها إلى الاشتراك في أي حديث معه.

- أوافقك على أننا نحاول إنجاح موقف لا بد لنا منه. والآن هل أتجه بالطائرة إلى المزرعة.

أومأ غلينت برأسه، وأطرقت كاتي قلقة.

- معك حق، أي من الآن فصاعداً أرجو أن تناديني باسم كاتي. لكن لا تناديني بعد الآن باسم كاثرين فإنني أكره هذا الاسم.

طمأنهم الطبيب أن حالة فيلمور تتحسن، وأدركت كاتي عندما رأته أن روحه المعنوية عالية. وبعد الخروج من الكنيسة اقترح غلينت بأخذ كاتي ووالدتها وجدتها إلى سكوتسبلاف واستأذن السيدة فيلمور في أن يتابع سيره لزيارة والديه في أوماها ثم يعود ليصطحب آل فيلمور في المساء بعد موعد الزيارة في المستشفى. وبسرعة رحبت الأم بالفكرة ووافقت عليها.

ولاحظت كاتي عودة اللون إلى وجه والدها عندما عثروا عليه في غرفته بالمستشفى، كما لمحت عينيه وهو يمسك بيد زوجته ويجذبها نحوه برفق. وعندما تبادلا عبارات الشوق، شعرت كاتي بدفء الروابط العائلية المربوطة بينهما ولم يفتها أن تنظر إلى غلينت ماكاليستر لترى إذا كان سمع تبادل تلك العبارات. وكان غلينت قد أوصلهم إلى الغرفة عملاً بأصول الأدب والاحترام، ورغبة منه في زيارة جون فيلمور.

وتأكدت كاتي من تعبير الجمود المحترم بأنه سمع ما دار بين الزوجين من كلمات الحب والشوق، وربما عنها تغيرت فيه وأراد بعيداً عنهم حتى يعطي الأسرة فرصة تبادل التحية، ورغم أنه شخصاً كان تواقاً إلى أن يحيي جون فيلمور قبل انصرافه لزيارة أسرته.

وأخيراً صافح غلينت اليد الممتدة إليه وقال:

- يبدو عليك التحسن يا سيد فيلمور.

وشاهدت كاتي أن غلينت يكلم والدها بهذا الاحترام، وكانت تتساءل في الوقت نفسه عن نوع المعاملة التي استخدمها معه أي الطريقة التي لا يمكنها أن ترى لمحة الإعجاب التي لاحت في عيني أبيها.

فأجاب الأب معترفاً بسماحة الزائر

«أشعر بخير وتحسن، وأنسى «جون» فقط يا «ليليث»».

وابتسم «ليليث» وأومأ برأسه، معبراً عن موافقته لإزالة الرسميات بينهما وقال:

«إنني في طريقي لزيارة والدي، وأود أن أطمئنك بأن كل شيء يسير على ما يرام في المزرعة، باستثناء بعض البقر المتوترة والعصبية لغيابك».

ومال بنظره حول أرجاء الأسرة ليفسر معنى عباراته، غير أن «كاثي» شعرت أن نظرته تهكمت واستقرت عليها مدة أطول من غيرها، ومع ذلك لم تترك نفسها تشعر بالقلق لتصرفاته، وابتسم الأب وقال:

«إنني أقدر زيارتك لي، ولا شك أنك تريد الإسراع لزيارة أسرتك، لذا لن أعطلك بأسئلتي الكثيرة، فإنني سأتركك لكاثي».

وتركهم «ليليث» وهو يقول أنه سيعود الساعة القادمة، غير أن أحداً لم يعلق عليها في أثناء التي توقعتها إلا أن آل «سميث» كانوا قد وصلوا بعد انصراف «ليليث».

وعندما صافح الوالد «سميثي» قال له مازحاً:

«كنت أعتقد أن أعرف سبباً لازدهار «كاثي» مؤخراً اليوم فتذكرت أولاً أنه مرتبط بي، ثم أدركت أنه مرتبط بالكاليس ثم ظهرت أنت يا «سميثي» فزادت حيرتي».

واحمر وجه «كاثي» من الخجل والغضب وهي تنظر إلى الشاب، وكان طراز مثل فساتين الأربعينات، بياقة مستديرة وأكمام قصيرة تصل إلى منكبيها إلا أنه كان أقصر بكثير من الطراز القديم، وكان الزي يلائمها تماماً، بعكس لونه الذي كان لائقاً بالنسبة إليها، وقالت «كاثي»:

«ارتديت الفستان عند ذهابي للكنيسة يا أبي، إلا تعرف كيف لا يرغب الأب «كارل» لبس البنطلون».

«حقاً، إذن هو السبب».

إلا أن بريق عيني الأب ظل يداعبها وغضبت «كاثي» من نفسها لأنها لم تستطع مجاراته في مزاحه، وحتى في مداعبته لم يعجبها أن يفكر والدها بأنها ارتدت الفستان لتؤثر على «ليليث»، وكانت هي الوحيدة التي لاحظت عبارة أبيها غير أنه سرعان ما نسي الجميع الموضوع واستراحت «كاثي» منه.

كان والدها محصوراً في المنطقة التي يعيش فيها لذا جاء لزيارته عدد كبير من أصدقائه يوم الأحد، فكانت في غرفته حركة تنقلات مستمرة عرضاً على اتباع تعليمات المستشفى بألا يزيد زوار المريض في المرة الواحدة على عدد معين، والوحيدة التي لم تتقيد بتعليم الزوار هي «لوسيل فيلمور» فقد أمسك «جون فيلمور» يدها وأبقاها بجانبه طوال الوقت.

وعندما أخذ آل «سميث» يستعدون للرحيل عصراً وصل «جوني فيلمور» فاقترح «سميثي» فرصة وعودة، وتوسل لكاثي أن يبقى هو ويوصله في طريق العودة حتى يقضي بعض الوقت مع «جوني». وانتهى الأمر بالاتفاق على «كاثي» و«جوني» و«سميثي» بأن ذهبوا لتناول العشاء معاً كما كانوا يفعلون قديماً.

وفي منتصف العشاء، ألح «جوني» عليها قائلاً:

«أخبريني عن ذلك الرجل الجديد، فقد أعطاني أبي فكرة عن علاقته، لكن ما هي علاقتك».

نظر «سميثي» إلى «كاثي» في لمحة قبل أن يوجه كلامه إلى «جوني»:

«إنه ليس عطفاً بالصورة التي كانت تخيلتها «كاثي»، فهو في الواقع رجل عظيم، ذهبت إلى المزرعة عدة مرات هذا الأسبوع وأقسم يا «جوني» أنه لا توجد طريقة عنيفة في أن المزارع لا يستطيع معاملتها ومحاسبتها ومسايرتها، ومع ذلك لا أراه عدائياً أو متكبراً بسبب ثروته، بل هو طبيعي جداً وبسيط للغاية، فالإيستر لا

يتعلق بعملك في كلامك أيضاً.

وتوقف سميثي عن الكلام ونظر إلى كابي يتردد قبل أن يستأنف حديثه:

- إن حياته ليست كلها مليئة بالعمل، ويوحي إليك منظره أن له اهتمامات أخرى بالمجتمع وأفراده، على عكس ما أعتقد.

وسأله جوني وعلى وجهه ابتسامة خبيثة ونظرة ساخرة موجهاً إلى أخته:

- هل هو وسيم؟

وردت كابي بطرف طرحتها الخالية من الجاذبية كلما جاء ذكر فليت:

- وكأنه كان يعجبك منظره.

فأجاب سميثي وهو يضحك معلقاً على كلامها:

- لا تصدقيها، إنه من الصنف النحيل الخشن الذي يبدو وكأنه خطأ تقوم من شأنه السيدة، وأراهنك أن في مفكرته أسماء عدد من الفتيات اللواتي ينتظرن منه إشارة بسيطة.

فصاحت كابي بغضب:

- أنت مقرف وسرعان ما ستشاهد أنت أيضاً مغامراتك ومراهقاتك. إنهم ألا يهتم بسمعة المرأة، ولكنكما يجب أن تحترماها وتحترما سمعتها.

فنظر إليها جوني باستغراب كبير وقال:

- ماذا لكنا حتى تستحق كل هذه الثورة؟

فهز سميثي رأسه وقال:

- لا تلتفت إليها فما عيناها إلا ذكر اسم ذلك الرجل حتى تثور. فأول مرة رأته كانت مسرعة في الطريق العام والشجر إطار سيارتها فأتيها وأعطاها درساً في أصول القيادة، ومنذ ذلك الوقت وهي ثائرة عليه.

فقالت كابي وهي تحتج على كلامه:

- لا علاقة لذلك الحادث بشعوري نحوه.

وأتت بالورقة على المائدة، وفتحت حقيبة يدها وأخرجت منه بعض النقود وأعطتها لسميثي وهي تقول:

- سأعود لأبي في المستشفى، ما هو أبوه حسابي، وسأترككما الآن هنا كما يحلو لكما.

وحضر فليت في الساعة الثامنة تماماً ليصحبهم إلى المنزل، ولم يعلق على ركوب سميثي معهم في جانبه وقسم يفتح باب السيارة الخلفي لسميثي و كابي و مارك، ثم طلب السيدة فيلمور في الركوب في المقعد الأمامي قبل أن يجلس هو أمام عجلة القيادة، وبسرعة اشتركت السيدة فيلمور في الحديث معه عن زيارته لوالديه، بصوت خافت لم تتركه فيه ركاب المقعد الخلفي من السيارة، الأمر الذي سرت له كابي كثيراً لعدم اضطرارها للحديث معه.

جلست كابي خلف السائق بجانب النافذة بينما جلس سميثي في الوسط ومارك في الجانب الآخر، ولاحظت كابي أن سميثي كان صامتاً بصورة غريبة، فيما أخرج مارك الراديو من جيبه وأداره بصوت خافت مستنداً على الباب وواضعاً الراديو على أذنه. وأخذت كابي تنظر من النافذة وتراقب الشمس بلونها البرتقالي وهي تقترب من المغيب، وشعرت بالحزن والقلق لسبب لم تفهمه وتحولت عيناها إلى الرجل الجالس أمامها، وأخذت تنظر إلى شعره الذي يقصه الذي وصلت إلى ياقة سترته الزرقاء، وشعرت بذراع سميثي تلتف ورائها، والتفتت إليه والابتسامة الحلوة تضيء وجهها وقالت:

- عزيزي المسكين سميثي!

ثم أطلقت يده التي استقرت على كتفها ومست أطراف أصابعه، ولسبب غير معروف إلا لعقلها الباطن، حولت نظرها إلى المرآة المثبتة بجوار السائق، فرأت فليت يحدجها بعينيه الداكنتين اللتين تبدوان لون الخشب، مثل سحب العاصفة العاتية، وأعطتها العنف الذي رأته فيهما، وفي تلك اللحظة كانت الأم

شيئاً للسائق لم تتبينه «كابي» فانحبست النظرة التي كانت في عينيه وهو يلتفت ليرد عليها، أما نظرة الغضب التي بدت في عينيه عندما رأى مداعبتها الرقيقة لـ«سيمي» فجعلت «كابي» تتعمد التصاقها أكثر بصديقها، وبعد ذلك بلحظة ذلك عادت تختلس النظر في المرآة من خلال أهدابها الرمادية ورأسها يستند على كتف «سيمي»، وهذه المرة رأت عيني السائق وهما تلتقيان بعينيها، كأنما بلون رمادي فاتح، وترتسم فيهما نظرة تدل على عدم الاهتمام.

وسرعان ما انتابت «كابي» حالة تشبه النوم بسبب هدهدة ذراعي «سيمي» وظلام الليل المسدل، وعندما توقفت السيارة صرت إطاراتها الرهيب، وتحققت من سرعتها لاقترابها من المنزل، تنبهت «كابي» وشعرت بالحرقة بينما «فلينت» في مقعده وقال:

ـ أتريد أن أوصلك للبيت الآن يا «سيمي»؟

تكلمت «كابي» متثائبة واعتدلت في جلستها وقالت:

ـ سيوصله إلى المنزل عندما نصل إلى منزله.

[illegible] «فلينت» وهي تحاول أن [illegible]

بالساعة الآن بعد العاشرة، وتبرر الاستيقاظ مبكراً لعمل الغد.

تنهدت «كابي» فإنها لا تحبذ صرامته من انتقاد، فلما لم تجد استهزاءها قالت:

ـ ألا تظن مرة سهرت أكثر من الآن، ومع هذا استيقظت عند الفجر.

ـ تصرف كما تشاءون.

وبعد لحظات وصلوا إلى الطريق المؤدي إلى المزرعة، وتوقفت السيارة تحت عامود نور الفناء وتبادل الجميع تحية المساء، فلبثت «كابي» أمامها، ولمست [illegible] ونهضت بتثاقل، فلبثت ثم جلست في مكان القيادة في السيارة التي نزل منها «فلينت».

ورفع «فلينت» أصبعه تحية لـ«سيمي» وقال له:

ـ حاول أن تجعلها تقود السيارة بحذر.

وبعد ثلاثة أرباع الساعة عادت «كابي»، وكان المنزل مظلماً إلا من مصباح الشرفة، وتسللت «كابي» إلى المنزل بهدوء حتى لا تزعج أحداً، ورأت خطاً من النور منبعثاً من تحت باب غرفة المكتب التي كانت تستخدم الآن كغرفة نوم ومكتب «فلينت»، وأحست أحد الألواح الخشبية المثبتة تحت التشبيع [illegible] وهي تحاول أن تتخطى [illegible] الغرفة بالنور عند المكان الذي وقف فيه «فلينت» بالباب فرحبت به «كابي» قائلة:

ـ هل كانت هناك حاجة لكي تنتظرني؟

وكانت غاضبة، لكن لم يكن ذلك هو السبب في احمرار خديها بل كانت السبب النظرة التي أخذت تفحص وجهها بدقة وكأنه يرى آثار عناق «سيمي»، ونزلت تقاطيعه وهو يقول:

ـ [illegible] ما كان يجب أن أقول ذلك لكنني [illegible] من السيارة كما [illegible] الأصابع [illegible]

[illegible] قائلة:

ـ إن [illegible] يستحق الشكر لكنه غير مرغوب فيه [illegible] يا سيد ماكاليستر.

[illegible] الذي لا داعي له [illegible] إلا أن «فلينت» [illegible] رأسه في [illegible] من الغضب والنور قبل أن يغلق باب غرفته.

www.liilas.com

٧ ـ كل عضلة تئن

كان اليوم شديد الحرارة حتى بالنسبة لأول شهر يونيو حزيران، وأحسّت «كايتي» أن الحرارة لا بد ستتجاوز الأربعين درجة قبل الظهر بكثير. وتنهدت بقلب كليل وهي تفكر أهي الشمس التي تصب على رأسها طيلة النهار، أو عدم جدوى تفكيرها هو الذي سيتعبها بنفسها. وأدارت السوار حول معصمها لتنظر إلى ساعتها، فربما يرفّه عنها أن الساعة الرابعة وأن معظم التين كان قد تم حصاده، وكانت موقنة رغبتها لتخفف من حدة التوتر الذي أخذ يتزايد في الأيام الثلاثة الماضية.

ففي السنوات الماضية كانت تستمتع بموسم التين برغم ما فيه من عمل شاق بالنسبة إلى «كايتي». كانت أحب رائحة إليها هي رائحة التين وحيث العصا. لم تتمكن شفتيها من الغضب وقالت في نفسها إنها في هذه المرة لم تحتفظ بمرحها، وذلك بسبب هذا الشتيّة «نيكولاس ماكاليستر». لكل أمر يحصره كان يخرج أعصابها حتى أصيبت بالقلق. كانت عيناه تراقبان كل شيء تقوم به وكان مستعداً لمهاجمتها على أي تقصير يصدر منها بسبب أنوثتها، لكنها أثبتت له عكس ذلك، لأنها استيقظت مبكرة وخرجت قبل أي شخص آخر وبقيت في الحقل إلى بعد موعد جمع العمال. كما تشهد على ذلك كل عضلة تئن في جسمها. وكل ما كانت تحتاج إليه هو أن تترك الأرجوحة. لما جرت قدميها بتثاقل وصعدت درج الشرفة الأمامية ونادت على أمها وهي تدفع الباب المؤدي إلى المطبخ، سمعتها أمها فردت عليها قائلة:

«إني هنا يا حبيبتي»

واستدارت «لوسيل فيلمور» من أمام الفرن وقالت:

«هل انتهيت من عملك؟ تبدين منهكة»

«ضعي لي بعض الطعام في كيس. أريد الذهاب إلى البحيرة»

وحاولت «كايتي» أن يبدو صوتها طبيعياً، لكنها أخفقت في ذلك، فقالت الأم بعد أن نظرت إليها مليّاً:

«وبكل سرور»

ثم أضافت قائلة:

«ألم تنشغلي بوجود [illegible] بعد؟»

ونظرت «كايتي» إلى أمها وهي تشعر بإخفاقها في إخفاء حقيقة مشاعرها، وقالت في نفسها إن الراشدين لا يجب أن يعرفوا ما يدور بخاطر أبنائهم بهذه الصورة. وبدلاً من أن تجيب على سؤال أمها قالت لها إنها ستصعد إلى غرفتها لتغيّر ملابسها.

وبعد قليل وجدت كيساً من الورق على الطاولة وبجانبه «ترموس» مملوء بعصير الليمون، فابتسمت «كايتي» لرقة أمها التي لبّت طلبها بدون أن تحرجها بمزيد من الأسئلة. علقت الكيس وخرجت مسرعة لتركب حصانها آخذة معها صنارة الصيد.

وبعد قليل استدارت «كايتي» بجوار البحيرة، وتركت زمامها بعد أن أخذ حصانها يرعى العشب بالقرب منها، وكانت الحبال التي استخدمتها في العمل الشاق قبل ذلك مازالت مرصوصة في دائرة حول الرباط الخشبي. كما كانت فروع القطن الجافة ملقاة جنباً، وبعد قليل أزالت ذراً وأخذت بسنارتها في مياه البحيرة، وجلست فوق بطانية سرج حصانها وقد ضمّت ركبتيها إلى صدرها لتسند ذقنها عليهما في استرخاء، وامتلأت عيناها بدموع لم تسكبها، دموع الغيظ والغضب معاً، ولم تستطع حالتها النفسية بالاستمتاع بظل الصفصاف التي أظلت المكان

وقررت «كابي» عدم الاستسلام لهذه الدموع الصبيانية، وبينما هي تحبس عبرة من عبراتها أحست أنها لن تدع «للنت» يتسبب في مضايقتها بعد الآن. لكن المشكلة لم تكن فيه هو بل في كوريا تلك قصة بفرعها بعد أن تخلت عنها أسرتها في مرافقها معه، ثم تحطيم «سيتي». والآن فمن يوم «سام» فكيف لها أن تحاربه وحدها!

وبينما هي تتألم من مضايقته، سمعت صوت حوافر حصان يقترب فقالت في نفسها: إذا كان «مارك» قد تبعني إلى هنا فإنني سأقتله.

وبينما تمسح الدموع في عينيها سمعت صوتاً يقول لها:

هل أضعت شيئاً؟

لم يكن «مارك» بل «للنت» وعادت إليها نوبة الغضب وهبت واقفة وهي تصرخ فيه قائلة:

هل من الضروري ملاحقتي في كل مكان؟ لماذا لا تتركني وشأني؟

ورأيت بعض التمر ولم أعلم بوجودك هنا. فأول خاطر طرأ بذهني هو أن حريقاً قد اندلع في الأعشاب فجئت لأرى ما حدث.

غير أن صوته الحزين وارتجاف عضلات صدغيه لم تقتنع «كابي» بسبب تحديه فارتجف جسدها من الغضب وهي تقول:

عندما تأكدت من أنه ليس حريقاً كان يجب أن تعود من حيث أتيت.

وشعرت به يقترب منها لكنها لم تر الغضب في عينيه إلا عندما صار بجوارها. كانت عيناه الرماديتان تعكسان الحزن وامتدت يده تمسك بمعصمها وأدارها نحوه بعنف ودفع بها للأمام.

أترين هذا النبات؟

وتابعت عيناها أصبعه المشير وبلا إرادة أطاعت صوته ونظرت إلى النبات الذي يلتف بالشوك، وإلى الزهرة البيضاء التي تعلو وتتوجه بلونها الناصع.

وكان صوته يبدو هادئاً، وهي تنظر إلى الزهرة التي تشبه زهرة الخشخاش لولا بياضها. وأخيراً قال «للنت» قائلاً:

ماذا تعني لك هذه الزهرة؟

هل أن تحزري؟

وحدقت فيه بدون أن تصدق ما تسمعه

إنها زهرة شائكة بعطر الشتاء حلاوة.

ولم تسعفها صراحته وجعله أو توتر جسمه ورنة كلماته، وهو يعلق أعصابها بعينان وعناد، ومع ذلك لم تتراجع عن موقفها المتحدي وسمعته يقول بانفعال شديد:

مادامت أنت تفعل، أن أتحمل أشواكك لمدة عشرة أيام، أيتها الزهرة الشائكة المسماة «كابي»، إنني لم أطلب هذه الوظيفة، كما لم أختر المهنة التي وضع لأجلك. لكني هنا وسأبقى هنا.

وظل يمسك بمعصمها وهو يغرس أصابعه في عظامها إلا أن الألم الجسماني لم يكن هو الذي بعث فيها رعشة الخوف، بل الطريقة الآمرة التي كان يتكلم بها «للنت». يبدو ينذر بالعاصفة.

فردت قائلة وصوتها يرتجف:

وإنني أحصي الأيام حتى رحيلك.

مواهبك تختلف الكثير عن الزراعة وتربية المواشي، لكن من الواضح أنه لم يعلمك أحد أصول المعاملة المهذبة.

ثم ترك يدها بحركة تحرز واستدار بعيداً عنها:

لا تتكلم هكذا عن والدي.

وهذه المرة كانت يد «كابي» هي التي امتدت لتوقفه في مكانه. وأخذت الدموع التي كانت تحبسها تتجمع وتحجب عنها الرؤية، وقالت له:

والدي خير والد في الدنيا، وإني مستعدة للقيام بأي شيء من أجله، وهو أيضاً

مستعد لأن يفعل أي شيء لها.

ونظر إليها فليت بحيرة وقال:

إنك مخطئة يا كابي، فأنت أنانية ولا يمكنك أداء أي خدمة لأحد.

فأنكرت قوله بقوة وانفجرت باكية وهي تقول:

هذا كذب وافتراء.

لعلمي ذلك؟ أنتم لا تستطيعون حتى أن تتكلموا معي على وجه حق، ولو ترك الأمر لوالدك لرماني خارج المزرعة. لكن يعلم كلانا أن هذا ليس صحيحاً. إنه لا يستحق شكواك. لكنك الخاسرة يا كابي، وما من أحد يجب أن يكون خاسراً.

ولم تستطع مواجهة نظراته، واستقرت عيناها على حذائه المخدوش وحاولت بشجاعة أن تواجه الرائد مؤكدة بأن ما يقوله لا يمت إلى الصواب بصلة، وشعرت كأنها حشرة صغيرة لا قيمة لها. ولم يعد هناك مجال للمغالطة إنها فعلاً فتاة مدللة أنانية لا تستحق الأشياء التي تنعم بها، وأفاقت من أفكارها لترى فليت فوق صهوة جواده ممسكاً باللجام يتجه نحو المزرعة. فنادت عليه قائلة:

فليت!

كان صوتها ضعيفاً، إلا أنه سمعه. فأوقف حصانه ونظر إليها، إلا أن كابي مشت نحو فليت ببطء ولم تهتم بتجفيف دموعها من وجنتيها وهي ترفع وجهها لتنظر إليه في انكسار:

إنني آسفة لطريقة تصرفي معك.

وقبل أن تتم عبارتها خفضت رأسها لتنظر إلى الأرض، وانتظرت أن يرفض فليت اعتذارها وأن يلقي به في وجهها قائلاً لها إن فرصة إصلاح ما فسد قد ولّت. وبدلاً من أن يفعل ذلك، امتدت يده إليها مرحبة بصداقتها، وقال فليت:

قد لا نكون أصدقاء، لكن يجب ألا نكون أعداء.

قالها وهو يمسك باليد التي وضعتها برفق في يده. فأومأت رأسها وسحبت يدها في خجل الماس، ورفع ذقنها بإصبعه حتى اضطرت كابي للنظر في وجهه. كان يبتسم تلك الابتسامة الساحرة التي يحتفظ بها دائماً. وحبست أنفاسها من قوة سحر جاذبيته.

ولم يكن ما فعله بالأمر الهين. لقد اعترفت بخطئها في بادئ الأمر، والده رجل عنيد وإلا ما اشتغل بالزراعة وتربية المواشي، إلا أنه عادل وأمين، ولم أتصور أن ابنته تختلف عنه في أخلاقها، ربما أكثر منه عناداً.

وتعجبت كابي، كيف لم تلحظ من قبل بريق عينيه، أو الخطوط الرفيعة على وجهه، واصطبغت وجنتاها بحمرة الخجل عندما لاحظت أنها تحملق فيه وأنها معجبة به. فتراجعت وهي تريد بدون أن تدري ما تقوله، وشعرت بخجل غريب.

وجذب انتباهها صوت صهيل جواد من فوق التل سرعان ما يتبعه جواد فليت، ونسيت كابي الحمرة من وجنتيها وحولت نظرها نحو مصدر الصهيل، وارتسمت ابتسامة عريضة وهي ترى الحصان الأبيض وهو يهز رأسه على بعد مائة ياردة منهما. وقال فليت:

إنني لم أرَ هذا الحصان في المزرعة من قبل.

فردت كابي وهي تضع أصبعها في فمها وتصفر للحصان:

هذا هو جوادي ميركوري.

ودارت عيناها بالفخر وهي ترى الحصان يقترب منها بخطوات واسعة متهادية رافعاً أنفه ليشم رائحة الرجل الغريب، أما ذيله ترفعه في خيلاء. وكان جلده الأبيض يلمع في صحة واضحة، ولم تظهر عليه سنه الكبيرة. ووقف أمام كابي فربتت برفق على عنقه بيدها ووضع أنفه في جيوب بنطالها فضحكت وأخرجت قطع السكر وأطعمتها له.

إنه يقترب من سن السابعة عشرة ولا تبدو عليه سنه.

ونظرت كابي إلى فليت لتعرف رأيه وانتظرت قائلة

«كلا، أول حصان في أول حصان لا يحتاج للسرج حتى يجري على العشب بسرعة. كان سريعاً كالريح لذا أسميته "ميركوري" كاسم البطل الروماني ذي الأجنحة في قدميه».

ونظرت "كابي" إلى "فلينت" مترددة خشية أن يعتبرها تافهة أو يهزأ لكلامها لكنه كان يرنو إليها باهتمام كبير، واستطردت تقول:

«لقد كنت كالعصفور الطليق».

فضحك وقال:

«وكنت أنا ...»

لكنها كانت منهمكة برؤية أمكنتها أن تشاركه فيها

«كنت أتصور أن "ميركوري" هو فرسي، لكنت أركبه بدون سرج أو لجام في كل أرجاء مزرعتي وأمضي في ذلك معظم الوقت».

«إن شكله رائع بالنسبة لسنه».

«وبأن أسنانه تتآكل».

وظهرت في صوتها نبرة حزن وهي تقول:

«قال أبي هذا الربيع إن "ميركوري" سيفقد كل أسنانه بانتهاء الصيف القادم تتآكل كلها حتى تصل اللثة».

ثم قالت بحماس رغم تقطيبة بدت في جبينها:

«إنه يحب الجري بحرية، لكني متألمة لليوم الذي سيضطر فيه "ميركوري" إلى تناول الأكل بدلاً من حشائش المرعى الطازجة».

وعاد الحصان يقترب من جيبها بحثاً عن مزيد من السكر، وعندما تأكد من عدم وجود السكر ابتعد وجرى نحو التلال من حيث أتى.

وقال "فلينت":

«يجب أن يحدث ذلك يوماً ما».

وشعرت "كابي" بأنه يشاركها شعورها وقلقها.

«نعم، أعلم ذلك، رغم أنه عاش حياة مريحة».

وابتسمت وهي تحول نظراتها الأخيرة، فقد علمتها الظروف في المزرعة أن ترى الحياة لا نهاية لها، وأن أحداً لا يستطيع إيقافها أو التعرض لها، كما تعلمت أن تتقبل الأشياء التي ليس في وسعها تغييرها، رغم أن ذلك لم يجعلها تتقبل الأمور بسهولة.

كانت تجربة جديدة بالنسبة لها أن تتكلم بهذه الحرية وبهذه السهولة، تجربة سببت لـ"كابي" الاضطراب لكنها وجدتها ممتعة، فقد أشعرها "فلينت" بأهميتها في هذه اللحظات القليلة، وربما كان هذا هو السبب لشعورها بالوحدة عندما تركها وانصرف.

صحبت "كابي" مربي الماشية كل مرتين معاً، لها أخيراً وبعد مقاومة طويلة قبلت "فلينت" كوكيل لها في المزرعة، ومما ساعد على ذلك توالي اتصالاته مع محاميها في العمل لمصلحة المزرعة، واكتشفت "كابي" متعة جديدة في العمل جنباً إلى جنب معه، وهو شعور بالرضى لم تعرفه من قبل، كما لاحظت أن إعجابها بـ"فلينت" يتزايد، ولكنها ظلت تحاول أن تخفيه، لكنه أخذ في الظهور شيئاً فشيئاً، وعندما فتحت باب المطبخ سمعت أخاها "مارك" يقول بحدة:

«كلا.. كلا.. هذا مستحيل».

وكان واقفاً أمام النافذة وفي يده ورقة أخذ يقرأها ويهز رأسه بشدة، ونظر بوجهه المضطرب إلى "كابي" وهو يقول عند سماعه وقع أقدامها:

«كيف تفعل أمي بي ذلك؟».

«ما الذي بالورقة؟»

وسحبت "كابي" منه الورقة، وبطرف عينيها رأت "فلينت" يدخل إلى الغرفة وقال شارحاً الموقف بينما أخذت "كابي" تقرأ الرسالة.

«حضرت السيدة جراسيلد ظهر اليوم وحرصت على والدتك أن تصحبها إلى

" سكوتسبلاف " لزيارة والدة بالمستشفى، وتركت هذه الرسالة لتشرح فيها سبب عدم وجودها بالمنزل لإعداد العشاء الليلة.

وألقى " مارك " نفسه في كرسي المطبخ قائلاً:

«لا يمكنني أن آكل الطعام الذي تعده أمي، لقد قضيت أسبوعاً كاملاً أثناء غياب أمي في المستشفى مع أبي، وأعتبرها معجزة أنني لم أمت من التسمم».

فصاحت فيه " كاتي " قائلة:

«مارك..»

ولم يمكنها التغلب على حمرة الخجل التي علت وجهها وهي تنظر إلى تعبيرات الرضى التي تجلت على وجه " فليت " وهو يستمع إلى ما يقوله " مارك ".

«أؤكد لك يا " فليت " أنك لم تصادف في حياتك طاهية أسوأ من " كاتي "».

وودت " كاتي " لو أمكنها أن تسد فم أخيها لتوقف سيل كلماته المتدفقة المحرجة لها.

«حدث مرة أنها حاولت أن تعد لنا بيتزا فوضعت فيها كثيراً من الملح بحيث اضطررنا للشرب بعده».

وعندما لاحظ " فليت " الحرج والغضب المرتسمين على وجه " كاتي " ضحك وقال:

«من الأفضل أن تغلق الموضوع يا " مارك "، قبل أن تضطر للدفاع عن نفسك. لقد قررت أنه بدلاً من تعريض أختك للوقوف أمام الموقد الساخن بعد عملها الشاق طول النهار، أن نذهب إلى " فورت روبنسون " لتناول العشاء في الخارج الليلة».

ففرح " مارك " وقال:

«شكراً جزيلاً».

وسألها " فليت " قائلاً:

«هل هذا الاقتراح يناسبك يا " كاتي "؟»

ولأول مرة في حياتها ودت " كاتي " لو أنها أطلقت النار على أخيها لكنها

أومأت برأسها موافقة، وشعرت أنها تريد أن تغير ملابسها، وهربت من الغرفة قبل أن تفضحها حمرة الخجل. وودت " كاتي " لو أنها اهتمت أكثر باختيار ملابسها هذا. فقد كان منظر بنطلونها الأبيض وبلوزتها ذات المربعات الحمراء والياقة ذات الكرانيش جميلاً، لكن شكلها بصفة عامة كان يشبه فتاة ريفية ساذجة. وتنهدت شاعرة بالندم لأنها لم تظهر بمظهر يليق بها كما ظهر " فليت "، وتذكرت أنها تركت حذاءها الطويل ولبست صندلاً تحت بنطلونها الأبيض الرهيف.

وبينما كان " مارك " يشرح لهما عن المبنى الذي كان في وقت من الأوقات ثكنات للجنود ثم تحول إلى نزل ومطعم للسياح، أخذ يقص على " فليت " تاريخ الحصن القديم.

وكان هذا المبنى الأبيض الكبير مقراً للقيادة، لكنهم يستخدمونه الآن كمتحف. وكان هذا الحصن مشهوراً ليس فقط أثناء استقرار المستوطنين في الغرب، بل في أثناء الحرب العالمية أيضاً.

عرفت " كاتي " أن " مارك " أصبح مهووساً بتاريخ " فورت روبنسون "، ولم يأبه إذا كان " فليت " مهتماً به أم لا، فقد أصر على أن يعرفه بتاريخ الحصن لذا استمر " مارك " يقول:

«على الجانب الآخر من الطريق، أي عند مدخل " فورت روبنسون " يوجد المكان الذي قتل فيه الزعيم " كريزي هورس " وهو زعيم الهنود الذين حاولوا وضعه في السجن. كما أنه المكان الذي لجأ إليه الهنود عندما هربوا من مستوطناتهم، وعندما واجهوا الموت وقاتلوا بشجاعة بعد محاولة لإرغامهم على الرجوع ثانية، هاجموا أعداءهم وخرجوا من الحصن، وهي معلومات معروفة لمعظم الناس».

وضحك " فليت " متجهاً نحو " كاتي " وهو يفتح الباب الخشبي الكبير المؤدي للمطعم:

«كيف توقف سيل كلماته؟»

«لا تستطيع، إلا إذا تخلصت منه».

وألقت إلى أخيها نظرة كلها اتهام ومداعبة.

وبعد حلول ثلاثتهم المطعم وجلوسهم التفتت إلى " مارك " حسناوات أشقراوات

وقال أطولها وهو يضرب " مارك " على ظهره مداعباً.

«كنا نتكلم عنك».

وصافحه " مارك " وهو يحاول أن يتفادى ضربة أخرى من القميص الأحمر وقال:

«ماذا تفعلان هنا؟»

«أقنعنا والدنا أن يصحبنا إلى السينما بعد أن انشغلت أمنا بالذهاب إلى سكرتيرتها».

وحاولت " كايتي " جاهدة أن تتذكر من من توأمي " براسيك " هو المتحدث.

وقال " مارك " وهما يضحكان:

«لقد أخذت والدتي معها وتركتني تحت رحمة شقيقي أختي، حتى أقلقتني تلبيته».

«بعد أن ننتهي من الطعام.. أرى الأفضل أن تأتي لتأكل معنا».

وجذب أقصر التوأمين ذراع " مارك " ليأخذه معه إلى مائدتهم مؤكداً دعوته له وأضاف قائلاً:

«يجلس أبي هناك، وقد طلبنا ما نريد من طعام، ونستطيع أن نذهب للسينما معاً بعد العشاء».

نظر " مارك " إلى " كايتي " مستأذناً في الذهاب مع صديقيه، والبهجة تلمع في عينيه، وأومأت له قائلة:

«لا مانع طالما يوافق السيد " براسيك " على ترتيبات المنزل».

فشكرها أطول التوأمين قائلاً لها:

«إنه لن يمانع».

وساد الصمت خلال الجزء الأول من العشاء بعد انصراف الصبية، وبالرغم

من نفسها من أخيها تمنت " كايتي " لو كان معها ليبدد هذا السكون الذي أثار قلقها.

وأخيراً قال " فليشت " وهو يراقب الاحمرار القاني في وجنتيها:

«أنت صاحبة الليلة صدقاً مطلقاً. أرجو ألا تكوني قصدت تزعماً بوداعية " مارك "، فأنت تعلمين أن كل الأطفال يمرحون هكذا فهم يحبون مشاكسة الأكبر منهم سناً، وكلا لم أنشغل به، فهو يداعبني هكذا طوال الوقت».

وكان هذا التردد في إنكار حقيقة شعورها هو السبب في صعوبة مواجهة نظراته.

«فعلاً.. الواقع أنني لا أعرف الطهي ولا حتى كيف أغلي الماء».

«وهل يعرف " سميتي " كيف يطبخ؟»

«سميتي! كيف لي أن أعرف ذلك؟»

وواجهت نظراتها المندهشة نظراته بصراحة.

«ربما علاقتك الحبية».

«ظننت كما سمعته أن المتفق عليه هو أنكما ستتزوجان. ومن الأولى أن يعرف أحدكما كيف يطبخ».

وارتفع جانب من فمه في سخرية واضحة وعلقت " كايتي " على كلامه بتهكم:

«إذا كنت تعني الزواج، الأمر الذي لن يحدث، فليس من شأنك إذا كان أحدنا يجيد الطهي أم لا».

ولم تقبل " كايتي " دعابته بخصوص عدم إتقانها لفن الطهي وربما أثار رغبته في مضايقتها تهكمها الذي بدا في كلماتها.

«ربما رأيك في المرة حديثك على الطهو».

«إن المطاعم جميعاً إعداد وجبات لذيذة لأكلها أمام شاشة التليفزيون».

وعلقت شفتاه بابتسامة عريضة برغم أن بعضاً من تعبيرات وجهه ظلت جادة.

وشعرت أنه لا شك كان يسخر من غضبها مما زاد من ثورة "كايتي" عليه.

"لا بد أن شخصاً يحمل رجولة مثلك يجذب إليه الفتيات ذوات الأثواب القصار، بأجمل الفتيات ذوات الشعر الطويل والسيقان البيضاء، كما يصلح منكباك العريضان لاسناد رؤوسهن عليهما".

كانت الابتسامة التي تشع من وجهها تتعارض مع الغضب المنبعث من عينيها الداكنتين.

"أرى أنك تتحولين ثانية إلى زهرة مليئة بالشوك".

"ربما كان هذا صحيحاً في نظرك".

وهدأت ثورتها تحت تأثير سحر ابتسامته التي لا تقاوم.

"يعجبني أن أراك غاضبة إذ يتحول وجهك إلى خليط من عيون متألقة ووجنات متوهجة، وهو خليط جذاب حقاً".

وكانت هذه أول عبارة مجاملة تتلقاها "كايتي" من "فليت"، وكان لها وقع مثير على نفسها فخفضت نظرها إلى صحنها، وتمنت لو كانت من الفتيات المجربات اللواتي يعرفن كيف يقابلن مثل هذه المجاملة العابرة بعبارة مرحة. قال "فليت" مقترحاً:

"هيا نتمشى حول الحصن قبل العودة إلى المزرعة".

وقام من أمام المائدة واستدار حولها ليسحب مقعد "كايتي" من تحتها وكانت تشعر باستجابتها الحديثة له بحيث لم تقدر إلا على إمالة رأسها بالموافقة على الاقتراح، وانتظرت حتى دفع الحساب، ولم تفتها نظرة الاعجاب التي ألقتها عليه الفتاة الجالسة أمام الطاولة، وأخذت تسائل نفسها ترى كيف يكون الحال، إذا كانت هذه الفتاة مديرة "فليت"، وهي معه الآن في موعد غرامي؟ وبسرعة حاولت أن تبعد الفكرة عن خاطرها وهي تقنع نفسها بأن رجلاً مثل "فليت" لا يمكن أن يهتم بفتاة من الريف مثلها إلا أنها كانت فكرة مثيرة لم تستطع أن

تتخلص منها تماماً.

"هل نسير في الطريق الذي كان يستخدم للاستعراض؟"

أتى "فليت" بهذا السؤال وهو يقف في شرفة المطعم الواسعة ويصحب مرافقته نزولاً الدرج ومشيا نحو الساحة البيضاوية التي تتوسط المباني.

وكانت الشمس دافئة والنسيم العليل يحمل رائحة التبن حديث الجز، وكانت هناك حركة قليلة حول الساحة البيضاوية، كما كانت أصوات السيارات والسياح تسمع من بعيد، وفي الركن القريب منها رأيا السارية والعلم الأمريكي وهو يرفرف في الهواء.

وبينما هما يتمشيان رويداً رويداً أمام المبنى الذي يضم غرفة الحرس، قالت "كايتي":

"من السهل تصور هذا الجانب من الحصن عندما كانت تحيط به ثكنات الفرسان، وأحياناً أغمض عيني وأسمع في أذني النداءات العسكرية".

وكان "مارك" محقاً في رأيه عن مكانة "فورت رونسون" التاريخية، فقد كان حصناً هاماً لأكثر من مائة عام.

والتقت نظراتها عندما اقتربا من مدخل تلك الثكنة، وتنهدت "كايتي" قليلاً وقالت:

"أرجو ألا يكتشف كثير من الناس هذا المكان وأنا لا أعترض على مجيء السياح لزيارته وركوب الخيل في نفس المكان الذي كان يركب فيه الأبطال الأولون، لكن كل ما يهمني ألا يصبح مكاناً تجارياً، فروح الحصن الأصلية مازالت باقية ولا أريد لها أن تتغير".

"ربما الأمريكيون يعرفون أن هناك أشياء لا يمكن استغلالها لمنفعتها المادية، بل يجب أن تبقى بلا تغيير حتى تستطيع الأجيال القادمة أن تتذوق نكهتها الجمالية".

هكذا عقب "فليت" على ملاحظة "كايتي" ورأيها في الأماكن الأثرية،

ونظر إليها والابتسامة تعلو فمه وقال:

«هذه هي كل الهدية التي أنوي منحها الآن. فالليلة جميلة، والموقع يوحي بالرهبة والصحبة ممتعة. لذا أرفض أن أفسد كل هذا بالحديث عن أشياء أخرى من صنع البشر».

واستقرت يده على خصرها بطريقة طبيعية وتلقائية. غير عابئ بالثورة التي أحدثتها لمسته في داخلها. فقلبتها وقلبت مشاعرها رأساً على عقب. وبرغم أن فليتشر غيّر الموضوع، إلا أن كاسي لم تستطع التركيز على أي شيء وكان كل تفكيرها وشعورها مركزاً عليه كرجل.

٨ ـ الجار في سلة المهملات

عرفت كاسي الكثير عن فليتشر في تلك الليلة أثناء نزهتهما حول فورت روبنسون. وأثناء رحلة العودة تحدث فليتشر عن والديه وأجداده وإخوته الثلاثة وأخته الصغرى وشعرت كاسي أن تجاربها تبدو شيئاً تافهة. إلا أن وصولهما إلى أنكور بار قد أوقف تجاربها وكان ستيفي في انتظار كاسي وقد بدا عليه الغضب ولم يحاول إخفاء اعتراضه على مصاحبتها فليتشر للعشاء بالرغم من أن الدعوة بدأت في الواقع ثلاثية إذ كان سارة معهما. وأول مرة تبرمت كاسي من موقف ستيفي الذي يدل على أنانيته ورغبته في الاستئثار بها.

ومما زاد الطين بلة أن فليتشر سلم بأحقية ستيفي في صحبة كاسي، وانسحب بهدوء إلى مكتبه. فالأمسية التي كانت ممتعة انتهت نهاية سيئة. فصداقة كاسي لستيفي كانت علاقة رائعة. إلا أن كاسي لم تكن تتصور فليتشر الحقيقي عبر تلك العلاقة أو اهتمامه بها.

وحاولت أن ترغم نفسها على الاعتقاد بأنها مجرد تسلية بالنسبة لفليتشر. أما شعورها نحو فليتشر فكان من أصعب الأمور التي واجهتها في الأيام الثلاثة التي انقضت منذ تلك الليلة.

وكان هذا هو السبب الذي دعا كاسي إلى انتظار صديقتها جوانا بلهفة لتزورها في بركليبس لأنها كانت بحاجة إلى من تتفهم فيها مشاعرها وتضع الأحداث الأخيرة في أوضاعها الطبيعية. أما الطرف الثاني من رحلتها فكان لتفقد

العجول الجديدة التي ولدت في نفس السنة وصعدت كاثي إلى قمة التل وأوقفت حصانها ثاني على بعد أقدام من حافة المنحدر لتمتع عينيها بمنظر التلال الترابية الجميلة. ولفت نظرها نوع من الخوار يعلو في أسفل المنحدر ويبدو أنه يتخلص من الألم، وحمل إليها النسيم صوت أنة استغاثة خافتة.

ولم تكن كاثي بحاجة لأن تنبهها أذنا حصانها المتوترتان إلى أن الصوت كان آتياً من الشيء البني الذي رأته. وأدارت حصانها نحو المنحدر وتركته يختار طريقه إلى العجل الجريح القابع في السفح وكانت عينا كاثي تجوبان التلال بحثاً عن البقرة الأم. مدركة أنه لا يوجد أخطر من بقرة تحمي عجلها، والغريب أنه لم يكن هناك حيوان آخر في المنطقة كلها ولم تجد كاثي غير تفسير واحد، أن العجل هو وليد بقرة عمرها سنة واحدة بحيث لم تكتمل فيها بعد غريزة الأمومة.

وأوقفت كاثي حصانها على بعد مائة قدم من العجل ورأت حلقة من الأسلاك الشائكة قد التفت حول أقدامه بحيث سال الدم على الجلد الأبيض منها وشعرت كاثي أن عليها التصرف قبل فوات الأوان. فالسلك الشائك قد أدمى أقدام العجل، وعدم قدرته على المقاومة، دلالة على أن الحيوان الصغير نزف كثيراً وكان كل همها أن تخلصه من الأسلاك الشائكة وتحمله إلى مبنى المزرعة فوق سرج حصانها.

ونزلت كاثي عن ظهر حصانها واقتربت منه وفي يدها مقص الأسلاك الذي تحتفظ به دائماً في جراب سرج حصانها. ونظر العجل إلى كاثي بعينين كبيرتين ملأهما الألم، وهي تقص الأسلاك الشائكة وتخلص أقدامه منها محاولة تفادي الشوك. وتمنت لو أنها أحضرت معها القفاز الجلدي السميك الذي تركته على رف المطبخ وأخيراً خلصت العجل من قيوده، لكنه كان خائر القوى بحيث لم يستطع النهوض بمفرده.

وحملت كاثي العجل الثقيل بين ذراعيها وبعد جهد كبير أمكنها

النهوض على قدميها. لكن العجل صدرت منه صرخة خوف واحدة وظلت كاثي تجر حصانها الذي تركته على بعد خمسين قدماً. وفجأة رأت رأس الحصان يلتفت نحو التل الواقع على يسار كاثي. وفي الوقت الذي حولت فيه نظرها إلى تلك الجهة، سمعت خواراً قاصفاً من جهة التل.

وانتاب كاثي الخوف وقفز قلبها إلى حنجرتها وهي ترى البقرة الأم تهجم من فوق التل بكل سرعتها. في المزرعة بقرة واحدة لها قرون طويلة ملتوية مثل قرون هذه البقرة الشرسة نحوها في هجوم ينذر بالخطر. إنها من نوع ينتسب إلى صنف بقر ولاية تكساس ذي القرون الكبيرة، وكان والدها يستخدم ذلك الصنف منذ سنوات عندما كان يقوم ببعض أبحاث تهجين الأجناس. وكان مارك قد أطلق عليها اسم المرأة المجنونة لشراسة طبعها. وبنظرة سريعة عرفت كاثي أن المسافة بينها وبين البقرة لا تدع لها فرصة الوصول للحصان وهي تحمل العجل في حضنها.

ومع ذلك أسرعت كاثي نحو الحصان والعجل مازال بين ذراعيها لكن صوت حوافر البقرة وهي تدوس على الأعشاب اختلط مع أصوات ارتفعت جهة سرج وحوافر جواد يقترب منها لمحته بطرف عينها، وقلبها كاد يقفز من حلقها من شدة الخوف، رأت جواد فليتش المنطلق وهو يسرع نزولاً من التل في اتجاه البقرة. وامتد حبل من يد فليتش في آخره عقدة كبيرة التفت بمهارة فوق القرنين الملتويين، وبجرة واحدة من يده دفعها بعيداً عن طريقها وهي تتجه مسرعة نحو كاثي وصرخ فليتش يقول:

«السيارة والمقطورة بجانب الباب الغربي».

وكان حصانه يحاول جاهداً أن يسيطر على البقرة التي أخذت تخور وتقاوم. ولم تضيع كاثي وقتاً في وضع العجل على سرج حصانها الذي امتطته وأسرعت به بعيداً. وعندما وصلت إلى السيارة أعدت للعجل مكاناً في مؤخرتها وأرقدته برفق فيه ووضعت حصانها في المقطورة. وبعد انتهائها، وصل فليتش

إليها وهو يهم بحصانه من فوق التل.

وجالت عيناه الخضراوان فوقها بسرعة، ولم تساعد نظراته العاصفة في تهدئة الرجفة التي أصابت ركبتيها بالضعف والزلزال. وأنزل فليت حصانه إلى القطيع وأغلق بابها ثم عاد إلى كايتي، وبدت النظرة الشرسة المرتسمة على وجهه كأنها منقوشة على صخر بخطوطها الصلبة الحادة.

قالت كايتي لتنقذ نفسها من ولع العاصفة التي يهددها بها فليت:

«سأركب في الخلف مع العجل».

وركب فليت في مقدمة السيارة وأغلق بابها بعنف شديد، وقفزت السيارة عندما أدارها وانسابت فوق الطريق الوعر في طريقها إلى المنزل.

وقالت كايتي برفق وهي تهدئ العجل:

«سيصبح كل شيء على ما يرام».

فتشبثت وهي تضع رأس العجل بحيث أصبح يحمله فوق حجرها وفي الواقع كانت تحاول من ورع نفسها أكثر من تهدئتها للعجل.

[illegible] سام [illegible] إلى [illegible] السيارة مع كايتي، وأخذ يفحص الجرح الموجود في أقدام العجل وبعدما حمله خارج السيارة تبعت كايتي وراءه ابتعد. لقد كانت تفضل أن تكون في أي مكان غير هنا تلك اللحظة، حتى لا تضطر إلى مواجهة تلك العينين الزمرديتين الصارمتين.

«كايتي أريد التحدث إليك».

وبالرغم من هدوء صوت فليت إلا أنه لم يكن هناك مناص من تلبية طلبه فقالت كايتي وهي تنظر نحو سام الذي يبتعد بسرعة بحمله الجريح:

«لكن... العجل».

«سيعتني سام بأمره».

وقررت كايتي أن أفضل دفاع هو الهجوم لذا جمعت أنفاسها وقالت:

«استمع إليّ يا فليت ماكاليستر. لقد اجتزت لتوي التجربة القاسية، وليس لدي أي استعداد إطلاقاً للاستماع إلى نصائحك ومحاضراتك. لذلك ما أريده هو العناية بذلك العجل. فليس لدي أي استعداد لأن أفقد شيئاً من مواشيه».

فليت [illegible] وسحب ذراعها ليعيدها إلى مكانها وهي تدير له ظهرها لتنصرف.

«استمعي إليّ يا كايتي فيلمور، ألم تتعلمي شيئاً من حادث والدك؟ فلو لم يرك سام وأنت تتجهين بحصانك إلى حيث كنت، لما عرف مكانك. ما الذي دفعك لمحاولة أخذ العجل الجريح من أمه بمفردك؟»

فتأوهت كايتي وتحركت للدفاع عن موقفها وقالت:

«أولاً، كان العجل مريضاً مرضاً شديداً، وثانياً، لم تكن أمه موجودة عندما وصلت إلى العجل، وظننت أنها بقرة عمرها سنة واحدة ولا تفهم معنى الأمومة».

ثم سحبت ذراعها منه وأنهت كلامها قائلة:

«وثالثاً، لا حق لك في تأنيبي».

وظهر في [illegible] ما لم [illegible] الأحمر القاتم [illegible] بها [illegible] نفسها [illegible] إلى [illegible] هذه [illegible] يسيرة مهذبة مطلقة.

«لست مهذبة، بل وقحة [illegible] ألا تذكر ذلك».

ومالت برأسها لتنظر بتحدٍ إلى عينيه الزمرديتين تحت حاجبيه المرفوعين في تهكم. لكنه تمتم قائلاً:

«أرى خطأ وراء هذه الأشواك».

وفي حركة سريعة قبضت يداه على معصميها وجذبها نحوه بينما استقر لديه الأمر على ضمها وفي محاولة فاشلة للمقاومة، رفعت يديها إلى صدره لتبعده عنها لكن أن [illegible] القشعريرة [illegible] تسري في جسدها وسلبها إرادتها وأي تفكير في المقاومة، وأحاطتها رغبة لا تقاوم في الاستجابة له. فشعرت كايتي بأصابعها وهي تضغط على القميص وتلمس صدره ذي العضلات القوية المفتولة، وانتشر في

www.liilas.com

جسمها ضعف نابض وشعرت أنها تغرق في دوامة من السعادة، وودت لو استطاعت بطعم كل لحظة منها وقد هال جانبا منها شدة الاستجابة التي أثارتها حركته فيها، وعندما رفع يديه عنها، تركه "كاري" في ضياع كبير، وحاولت أن تبلع ريقها وتقاوم العاطفة العنيفة. لقد أثرت فيها تصرفاته أثراً انعكس جليا في عينيها. وقال "فليت" بصوت أجش نزل على "كاري" كالماء البارد:

«أقسم أنك لم تعاملي سيسيلي هكذا قبل الآن».

«لماذا تقول ذلك؟»

«لأنك لو فعلت، لكان معنى ذلك أنك متزوجة أو لك علاقة برجل، وأعرف أن الافتراض الأول غير صحيح، ويتضح في عينيك البريئتين أن الافتراض الثاني غير صحيح أيضاً».

فنظرت "كاري" إلى عينيه الواثقتين، وشعرت بالخجل لعرفانه الكامل بها ولامت نفسها لأنها استجابت بضعف واستسلام. وبكى عقلها الباطني، لكن عينيها أخذتا تلتهمان جاذبية وجهه وهي تقول له:

«من حظك أن "سيسيلي" لم يكن هنا ليرى ما فعلته».

«إنه شيء مختلف يا "كاري"».

فزاد غضبها وضيقها، واختلطت عليها مشاعرها المضطربة. ألم تعرف هل تهرب من ذراعيه أم تصفعه على وجهه. فتملكتها الحيرة لا تدري ماذا تفعل. لم انسحبت وبدت على شفتيها ضحكة كأنها تشعر بالنقص.

أيقنت "كاري" في نفسها أنه يجب ألا تدع نفسها تنجذب "لفليت" "ماكاليستر" أو تقع في حبه، وهذا هو ما سيحدث إذا لم تأخذ حذرها، وهي نصيحة في عقلها، فإنها تتقبلها حتى وهي تحس به وهو جالس أمامها في غرفة الطعام التي تستخدمها الأسرة كلها، واستدارت العينان الرماديتان نحوها وقال "فليت":

«وما رأيك في هذه الفكرة يا "كاري"؟»

فابتسمت قائلة:

«آسفة. لم أسمع ما كنت تقوله».

وانفجرت شفتاه عن ابتسامة ساخرة، وتألقت عيناه عند رؤيته احمرار وجهها من الخجل المصحوب بالمرح.

«كانت والدتك تتكلم عن الحفل الذي سيقيمه آل "فوريستر" مساء الجمعة وقالت أنها لن تذهب لأن "جون" غائب، لكني أجد أن نذهب، بل وأن نذهب جميعا كأسرة».

فنظرت "لوسيل" إليهما وبدا أنها تطوي مجموعة من الجوارب في حجرها وقالت:

«حسن، لا أعتقد، ويمكنكم ثلاثتكم الذهاب بدوني، إذ لا أرى أن من الصواب ذهابي و "جون" غائب عن المنزل».

فقالت "كاري" وهي تحاول أن تتفادى وجه "فليت" الجذاب:

«تعلمين أنك ستستمتعين بالحفل يا أماه، كما أنك تعلمين أن أبي يكره هذه الحفلات ولا يشترك في الرقص فيها، ومع ذلك لم يمنعك من الذهاب إليها».

وأضاف "فليت" قائلاً:

«الذين ستقابلينهم هناك هم أصدقاؤك وجيرانك، ولن يسيء أحد الظن فيما تفعلين. فأنت ستكونين في صحبة أبنائك، حتى و "جون" في المستشفى».

فوافقته والدة "كاري" على كلامه قائلة:

«كلا... لن يفكروا في شيء. ولكن»

فأصر على رأيه قائلاً:

«لا تقولي ولكن. اتفقنا وسنذهب جميعاً ولن أقبل منك أي اعتراض، أليس كذلك يا "كاري"؟»

ولم تستطع أن تزيف بهجة الفرح عند اتفاق رغبتيهما، كما لم تستطع السيطرة على بريق عينيها وهي توافقه على رأيه، وسألتها أمها:

«هل أفسدت رأي ترتيبات العائلة للخروج مع "سيسيلي" يا "كاري"؟ لأنك إذا كنت

قد فعلت.»

وشعرت الأم بوخز ضميرها، وبحرج موقفها بينما حاولت «كاثي» أن تتذكر إذا كان «سميث» قد طلب منها الذهاب معه أم لا. لذا قالت:

«إني متأكدة أنه لم يفعل».

كانت هذه العبارة لرغبتها في إقناع نفسها أكثر من رغبتها في إقناع والدتها. وقالت موزيه بحركة لا مبالاة من كتفيها وهي تضيف:

«لقد أصبح واثقاً من نفسه في الفترة الأخيرة».

ابتسمت لها «لوسيل البلمور» وهي فرحة بتصرفات ابنتها التي أخذت طابع الأنوثة وقالت:

«لا بأس، سأذهب معكم».

وقال «مارك» وبدأ:

«لقد كنا نذكر شيئاً حسناً، فها هو «سميث» قد حضر».

ودارت «كاثي» في مقعدها وهي تشعر بالعيون الساخرين وهما ترقبانها وقالت:

«سأذهب لأفتح له الباب».

ولم يكن هناك داع لتلك العبارة فقد اعتاد «سميث» الدخول إلى المنزل وكأنه منزله، وبرز «سميث» على مرج الشرفة قائلاً:

«أهلاً أيتها الجميلة».

ولمت «كاثي» وهي ترى تحيته لم تزل توتر أعصابها، وبدت ابتسامتها وكأنها تنفس الصعداء.

«إنك تبدين شاحبة اللون اليوم، فهل أنت بخير؟»

«أنا بخير».

غير أن ضحكتها التي أرادت أن تطمئن بها «سميث» كانت مشرقة فاستقرت عيناه على وجهها ولم يعجبه بعداً ما كان يفكر فيه.

«جئت لأتأكد من رغبتنا بسهرة الجمعة».

كما لم يعجبه اللون الذي صبغ وجهها فأضاف قائلاً:

«ستخرجين معي، أليس كذلك؟»

فتراجعت «كاثي» وقالت:

«أي حفل أي «جوردون»؟ كما تحدثت عنه».

وظهرت الابتسامة في عينيه الكبيرتين بجبينها المتسائل.

«سيحملنا أنا و «فليت» في إقناع والدتي بالذهاب معنا. كانت ترفض الذهاب لوجود أبي في المستشفى».

وسمعت هتافه من الاعتراض والصدمة معاً وهو يقول:

«أنت و «فليت»؟ أتعني ستخرجين معه؟»

«سنذهب كأسرة: مارك ووالدتي وأنا و «فليت»».

لقد كانت تشعر بالذنب وبتأنيب الضمير، إذ لم تعد «سميث» بأنها ستذهب معه.

«هل أصبح «فليت» عضواً في الأسرة الآن؟»

ولم يحاول «سميث» أن يخفي التهكم الذي ظهر في صوته والذي وجهه إليها عمداً لها على تقصيرها في حقه. ثم أضاف، وقد لاح احمرار في وجهها إلى قمة مركزه.

«ربما موقفي أنا على أنه مجرد حل قديم ألقيت به في سلة المهملات».

وشعرت بحرج كبير لأنها تركت نفسها في تخبط، وقالت محاولة تغيير الموقف إلى وضع أفضل:

«إننا نرحب بمجيئك معنا».

«كلا، أشكرك. فرفقة اليوم ليست كرفقة جماعة».

فثارت «كاثي» وقالت:

«لا حق لك في أن تكلمني بهذه اللهجة يا «دونالد سميث»، فإني لست ملكك».

ولا داعي للتهكم لمجرد أنني لن أذهب إلى الحفل معك».

«لا أتطلع إلى الحفلة حتى في سبيل أسرتك يا كاتي، لكنني أعترض على رفضك إياي بسبب فليت ماكاليستر لقد حاولت جهدي منعه لكني لم أتوقع أن... لكن، ما الفائدة الآن؟»

فردت بصوت خافت مرتعد:

«إن رفضي ليس بسببه إطلاقاً».

«كلا؟ إن الحقيقة مرتسمة على وجهك».

وتقدم سميتي منها ويداه تتحركان نحوها ثم أرخاهما إلى جنبه بحركة يائسة وقال:

«كم كنت صبوراً معك! إنه لا يهتم بك يا كاتي، فقد جاب جميع أنحاء العالم، فما الذي سيجذبه في فتاة ريفية مثلك؟»

وأرادت كاتي أن تضع يديها فوق أذنيها حتى لا تسمع كلماته الجارحة، لكن ما قاله سميتي كان صحيحاً، وهي أفكار رددتها هي لنفسها مراراً من قبل. وأسوأ ما في الأمر أنها كشفت لفليت عن ضعفها أمام مغازلته وسحره، فهو الآن يعرف حقيقة مشاعرها نحوه واستعدادها للاستجابة له. ولذا أثار خوفها احتمال وقوعها في غرامه الذي لن تجني من ورائه إلا الحسرة والألم.

٩ ـ الأميرة النائمة

كانت كاتي فرحة لأنها تجلس في المقعد الخلفي من السيارة، بينما أمها تجلس في المقعد الأمامي بجوار فليت. وكانت مراقبتها الزهقة تشعر أمها بالقلق الضيق الذي يشعرها في تقارب عجيب، فالقوة الجذابة التي تنبعث من فليت كانت تشدها طوال الأسبوع حتى عندما كانت تريد أن تبتعد عنه، وكان الجانب العاقل منها يريد الابتعاد بينما الجانب المتهور يحثها أن تشجعها على الاقتراب منه. وشعرت كاتي كأنها طفل يلعب بالنار مسحوراً بلهيبها ولم تكن خائفة من الحريق ذاته بل من السهام المتراقصة.

ولم تستطع كاتي إيقاف موجة الفرح التي غمرتها عندما فكرت في حفل الليلة الذي كان ينتظرها بما يحمله من مباهج ومفاجآت تتوق إليها، وكانت واثقة من أن فليت سيطلب منها مراقصتها. وتذكرت ملمس يديه حول خصرها وملمس جسده وهو يلامس جسمها. كما أيقنت أنها لن ترفض بل ستستمتع بكل لحظة من قربه وبكل كلمة أو حركة تصدر منه.

وسمعت وهي تتنقل في جلستها حفيف الطيات العديدة للفستان الذي ارتدته تحت ثوبها الأحمر اللامع. والتفت فليت إليها ونظرت تحت تأثير نظرته الرمادية لمرأى تنورتها وهي تبتسم له بدلال وسعادة.

وقال وكأنه يفسر سبب التفاته إليها:

«أساعدك على الوصول إلى مكان الحفل».

ورأت المصابيح اليابانية وهي متدلاة من الأعمدة القائمة في حديقة

فوريرون الخلفية وقد وضعوا ألواحاً كبيرة من الخشب فوق الحشائش لتصبح حلبة واسعة للرقص، كما وضعت عربة من عربات التبن إلى جانب الحلبة لتكون منصة يجلس فوقها الموسيقيون. وكانت الموسيقى خليطاً من القيثار والكمنجات والأوكورديون والطبول. ألحانها المرحة تملأ نسيم الليل وتبعث البهجة في أرجاء المكان بينما جلست كاثي مع مارك وهما يتبعان فلينت وأمها في طريقهم من السيارة إلى مكان الحفل. وكان جيم كيتشنر يقف أمام الميكروفون ويدق بقدمه على وقع الطبول بينما هو يشير للراقصين إلى طريقة الرقص شأن الطلب المتبع في الرقص التربيعي الأمريكي.

وفي خارج حلبة الرقص أخذ المتفرجون يصفقون بأيديهم على النغم بينما أخذت تنانير الراقصات منتفخة الأطراف تلف وتدور في مرتفعين كبيرين. والراقصات يضحكن في مرح بينما الراقصون مندمجون في الرقص الذي أتقنوه بحكم الخبرة الطويلة. ووجدت كاثي نفسها تدق بقدميها بلا وعي. واتجه نظرها إلى فلينت الذي استجاب إليها بابتسامته الساحرة.

وإنك تجيدين الرقص؟

وكانت حقيقة يعلمها أكثر منها سؤالاً.

هذه هي صفة الأنوثة الوحيدة في شخصيتي.

وكأن جو الحفل جعلها أكثر جرأة مما كانت، فلمعت عيناها وهي ترفعهما إليه ضاحكة.

وكانت أمها قد انشغلت بالسيدة شرودرت بينما لمح مارك صديقيه الواقفين في الناحية الأخرى من حلبة الرقص، لذا وجدت كاثي نفسها بجانب فلينت وهو يراقب انسحابهما بسخرية وحاولت، لكنها شعرت بأنه لا مفر من الخطر.

هل تحب سمبتي؟ ألك أن تخاطري بصحبتي؟

ولم تتوقع كاثي هذا السؤال من فلينت فأجابته ببساطة وقد ارتفعت

غرور مسحته على وجهها لتخفي النار التي في داخلها

منعه وهو يلومها على ذلك ويحتقرها بسبب ما حدث.

فظل إحساس قويها وخافت من حدة نظرته التي أثارتها في الوقت نفسه. وشعرت كاثي بضآلتها ليس فقط بسبب طوله الفارع بالنسبة لها بل لتأثيره الجارف عليها، وقدرته على إثارة رغبة فيها لم تعرفها في نفسها من قبل.

ولا بد أنه شعر بشيء منها.

قالها فلينت بجد وهو يرقبها بإمعان ليعرف أثر كلامه عليها.

وقال لك إنني أكثر انغماساً في الأمور الدنيوية وأكثر خبرة منك بالشئون العاطفية، وأن بإمكاني إيلامك.

فأومأت له كاثي برأسها.

هذا صحيح يا كاثي. فكل كلمة قالها سمبتي كانت في محلها.

فارتفعت أهدابها لتخفي الألم الذي طعن صدرها كالسكين، قبل أن ترسم ابتسامة عريضة وتقول:

وربما أكثر من ذلك! ففي هذا الزمن تتعرض المرأة المجربة أو غير المجربة لخطرين، ولكل رجل الحق في بعض المغامرات قبل أن يستقر بالزواج.

فضحك ضحكة خافتة آسرة وقال:

إنك ساحرة وجذابة وتحسنين التلاعب في الناس.

وبعد أن لمستها يده التي أشبه اللهب فيها وهو يجرها إلى الحلبة. إنها كالمسحورة بل كالأميرة النائمة التي أيقظها الأمير من نومها ولم تستطع نظرة سمبتي الغاضبة، وهو واقف بجانب حلبة الرقص أن تطفئ السعادة التي كانت تشع من وجهها. وراقصها رجال آخرون، كل بدوره، حسب قواعد خطوات الرقص الأمريكي التقليدي الجماعي إلا أنهم كانوا جميعاً كالأشباح بحيث لم يجذبوا انتباهها.

وانتهت الرقصة وسط الضحك والصياح والمرح، واستبقى يد كاثي في

يده، واستقرت عيناه الباسمتان على وجنتيها الموردتين. وتحرك كثير من الناس نحوه، وتقدموا إليه ليقدموا أنفسهم له. وقابل فليت جميع الضيوف بينما وقفت كاتي تتعجب من طريقته المهيبة التي توحي بالأناقة شأن أهل سكان غرب أمريكا. وامتلأ قلب كاتي بالفخر به، بينما أخذت بنات أصحاب المزارع ينظرن إلى يدها وهي في يد فليت وفي أعينهن الغيرة والحسد.

ولم تكن ريتا غريبة، التي لم ترها كاتي منذ زمالتهما معاً في الدراسة الثانوية، لم تكن من النوع الذي يضيع الفرصة أو الذي يتردد من التقدم لمثل هذا الرجل وجذب نظره. فهي فارعة القوام شقراء اللون. فالتفت نحو كاتي وفليت وعلى وجهها سمبتي وقد بدا عليه الغضب. وكانت ريتا معجبة بنفسها منذ أيام الدراسة، وتسيطر عليها غطرسة منعت كاتي من التقرب إليها واتخاذها صديقة لها. والآن وبعد سنوات في الجامعة، زادا من شعورها بالعظمة والتعالي على زميلاتها.

«كنت أتمنى أن أزورك يا كاتي»

واستشعرت كاتي الدهشة من ريتا تحمل كل معاني السخرية واستطردت تقول:

«لكنك تعرفين كيف يمضي الوقت عندما أحضر لقضاء بضعة أسابيع قصيرة، ولا يمكنني زيارة جميع الأصدقاء. وسررت عندما علمت بأن آل [illegible] يقيمون هذا الحفل، فهو فرصة مواتية لرؤية جميع الناس»

ونظرت إلى فليت نظرة إغراء وقالت له:

«لا بد أنك الرئيس الجديد القادم من أوكلاهوما، لقد كان سمبتي يحدثني عنك يا سيد ماكلينتوش»

ولم تهتم كاتي كثيراً وهي ترقب نظرة فليت المندهشة وهي تمر على جسم ريتا المتشوق، وقدمت نفسها إليه قبل أن تتيح لكاتي الفرصة لكي تقوم بذلك الواجب بنفسها.

كانسي؟ ريتا تقول: كنت مع كاتي في المدرسة، وبعدها أرسلني والدي إلى الجامعة، لذا لم نكن على اتصال منذ ذلك الوقت»

وقالت كاتي لنفسها وهي تلمح الطريقة التي كانت ريتا تتغزل بها فليت بجرأة: «إنها ما زالت تحتكر الحديث لنفسها وتتحدث». فليت يجور كلامها الشيق وابتسم فليت. ولمعت عيناه ببريق لم تر سببه وزادت يده ضغطاً على يد كاتي وقال:

«أرجو المعذرة، لقد وعدت كاتي بأن أراقصها رقصة البولكا»

وقبل أن تعترض ريتا أخذ كاتي بين ذراعيه ودخل بها حلبة الرقص. وكانت نظرة عينيه تثير فيها شيئاً، كان ذلك كافياً لأن يدفع كاتي إلى قمة من السعادة لم تحلم بها من قبل. فمجرد فكرة تفضيلها على فتاة جميلة مثل ريتا، التي تعتبر من شاكلته ومن نوعه، جعلت رأسها تدور من الفرح، وشعرت كأن قدميها لا تلمسان الأرض. كما توقف الزمن بالنسبة لها وأصبحت قمة العالم تحت قدميها ولم تشعر كاتي حتى بالموسيقى، لأن أنغام المرح السعيد بدا وكأنه ينبعث من داخلها. وكان لضغط ذراعه حول خصرها وقعه موسيقي يحدث في وجنتيها لوناً وردياً. كما كانت عيناه تعانقانها بأشياء جميلة بعثت السعادة في كل كيانها وهو يدور بها في سلسلة من خطوات الرقص التي لم يسبق لها أن رقصتها، إلا أن انسجامهما معاً كان تاماً بحيث لم تخطئ كاتي في حركة منها.

وعندما تلاشى آخر نغم من الأوكورديون، كانا في الجانب القصي من حلبة الرقص بعيدين عن بقية الراقصين. وكانت كاتي تلهث من السعادة لا من التعب. واليد التي ظلت حول خصرها بعد أن توقفت الموسيقى دفعت بها نحو الركن المظلم من الحديقة. وتركت كاتي نفسها تنساق لتلك اللحظة الساحرة ولم تستطع مواجهة نظرته خشية أن يرى فرط سعادتها وتلهفها أكثر منه. ورأت كاتي صوراً أمامها تستغرقه إليه والسعادة تغمرها، وسألته والضحكة على

شفتيها تصيح من الغبطة بعد أن استندت إلى السور وأمسكت بأعمدته
«هل تجعل الفتيات يصحن هكذا دائماً من السعادة؟»

شعرت كأنها تطير في الجو ولا تربطها بالأرض إلا يداها المتمسكتان بالسور.

وابتسم «فليت» وقال:

«إنها أفضل طريقة للتخفيف من بعض ضيقي أثناء الرقص.»

واستقرت عيناه عليها لحظة قبل أن يخرج سيكارة من جيبه ويقدم إليها أخرى. إلا أنها رفضتها وفضلت أن تنظر إلى السماء التي تزينها النجوم.

«لا بد أن ابنة الكولونيل ستكون أشد المتضايقات.»

ونظرت إليه في ذلك من فوق كتفها وتمنت لو لم يكن وجهه في الظلام حتى تستطيع أن تقرأ أفكاره. وواجهها وهو يستند إلى السور ليتفحص وجهها فقال:

«إنني أظن أنهن ينتظرن إشارة انتظاراً لإجابة مني.»

وقالت «كاتي» تتحداه في لهجة تهكمية:

«لا بد أن تعرض الأمهات عن عرض بناتهن أمامك، فلا شك أنك أشهر أعزب في المنطقة، وصيد ثمين للخاطبات والزوجات الأمهات.»

ورمى طرف السيكارة في الظلام وهو يسحب النفس منها.

«هل تفكرين في دخول حلبة المنافسة مع الباقيات؟»

«بالله إنني لا أجرؤ على ذلك.»

وكان من الصعب عليها أن تضحك وهو ينظر إليها من خلال دخان سيكارته، وقالت وهي تجاريه:

«إنني مجرد فتاة ريفية بسيطة، ولا أنافس بالفتيات الأخريات، كما أنني لا أستطيع منافستهن.»

«بل تصبحين منافسة خطيرة.»

وشعرت «كاتي» كأنها تغرق، وهي تنظر إلى فراسة عينيه الرماديتين وتستمع إلى لهجة صوته الساخر.

وإن عيناه تأكلانها وتحاولان بجهد كبير أن تقلبا شخصيتها العاطفية الثائرة كما أن شعرها ناعم ممسرح وخال من العقد اللازمة بحيث يستطيع الرجل أن يعبث به.

وبرهن على ما يقوله امتدت يد «فليت» وأمسك بها خلال خصلات شعرها قبل أن تستقر على مؤخرة رأسها فتجمدت أطرافها وأغمضت عينيها فرحاً بالمداعبة اللمسة اللاذعة واسترسل «فليت» يقول:

«إنني أشفق. أليس كذلك؟»

وفعلاً كانت «كاتي» خائفة من رد الفعل الذي يمكن أن يحدث لها إذا خشيت ألا تستطيع مواجهة الموقف. ولم يكن في وسعها إنكار هذه الحقيقة. فهي تعلم تماماً أن وجهها يفصح عن مشاعرها ويعكسها له بوضوح ظاهر. وقالت بصوت أجش:

«لم تكن لي علاقة بأحد من قبل.»

وتنهد «فليت» وقال:

«يا للأسف.»

وظل ينظر إلى وجهها بدون أن تحاول إخفاء سعادتها عندما رأى بريق الاشتعال والفرح الذي يشع في وجهها لانتصارها على نفسها وسألته بصوت خافت:

«ما الفرق؟»

«إنك في الحادية والعشرين من عمرك. وفي هذا الزمن الذي يتصف فيه الحب بالتحرر تكون علاقاتك برجل هي أقل الأشياء.»

وربت على خدها بظهر يده وتمنت «كاتي» أن تستجيب لملاطفته مثل القطة الأليفة التي تتمسح في صاحبها، وتابع «فليت» كلامه بقوله:

«لكنك لست من هذا الصنف يا «كاتي» وأنت تعلمين ذلك. فأنت من طراز قديم ومهيأة للانتماء إلى رجل واحد وهو شيء نادر هذه الأيام.»

ووقفت ساكنة بين ذراعيه ورقصه الرقيق يثير في نفسها الرعشة.

«أظن ربما أنك تريد معرفة السبب ولنذهب فيتحدثون»

فرفع ذقنها إليه برفق ونظر إلى سواد عينيها وقد مال رأسه إلى الجنب.

«يبدو لي أن أخطأت التقدير، واعذرني إذا كنت مخطئاً في تقدير علاقتكما»

وابتعد عنها وهو يمد يده وقال:

«سيبحثون عنا في الحفل، ولا أريد أن أثير المزيد من غضب ستيفي»

ورأت كاسي أن تمسك بيده بل كانت في تهكم ظاهر

«كلا.. يجب ألا تغضبه»

وعندما التفتت إلى أنها وهو يمسك ذراعها وهي تمشي بسرعة نحو الطاولة المضاءة.

«ربما هذا هو الأفضل»

ورغماً عنها ابتسمت باقتضاب، متضايقة من حيرته وغضب أهلها لأنه وضع حداً لمحاولاته معها، ولو أنها حاولت إقناع نفسها بأن ذلك لصالحها فقد كانت لا تزال تعاني من الفراغ بداخلها الذي تعرفي إلى مثله. وسألت نفسها لماذا لم تبق مدة أطول بين ذراعيه.

وسمعت صوت فليب يقول وقد علا فوق صوت الموسيقى:

«كنا نبحث عنك يا ستيفي»

فتطلع ستيفي في وجه كاسي وقال:

«لا بد أنكما تتحدثان عني، لأني كنت أنا أيضاً أبحث عنكما»

فردت عليه بتحد وانزعاج:

«حقاً وماذا حدث لريتا؟ إنني أتعجب كيف استطعت البعد عنها»

وانسحب فليب من بينهما، وهو يستأذن كاسي التي ظلت تتابعه بنظراتها وهو يبتعد عنها

وعندما رأى ستيفي نظرة الحزن في وجه كاسي لانصراف فليب

قال:

«هل تشتاقين إلى قاتلة ضحاياه؟»

فقالت له بحنق:

«ماذا تريد أن ترقص معي؟ إذا لم ترد فيمكنك الانصراف من أمامي»

وشعرت براحة لأنها استطاعت أخيراً أن تصب جام غضبها على شخص آخر غير نفسها.

١٠ ـ النظرة تحدث دوائر

ظلت ذكرى تلك الليلة تلاحق كابي أياماً طويلة، فباستثناء مرافقه من منسي، ظل فليتشت في خدمتها ورهن إشارتها بقية الليلة. لكنه تعمد أن يظلا بين جموع الحاضرين ولم يحاول الانفراد بها، كما لم يحاول ذلك في الأيام التي تلت الحفل، وشعرت كابي كأنه كان يتعمد إبعادها عن طريقه.

وتمنت لو كان في إمكانها أن تمسح لذة تجربة تلك الليلة بضحكتها كباقية الفتيات، ثم ضحكت من نفسها وتعجبت كيف تجول مثل هذه الفكرة في خاطرها. كان فليتشت محقاً عندما قال إنها ليست من ذلك الصنف، ومع ذلك لم يغير هذا من حقيقة تعرفها تماماً وهي أن فليتشت لن يرضى إلا بعلاقة عابرة بينهما. فإن تزوج، فبامرأة ناضجة أكسبته من أي منافسة مع غيرها يكون الزواج تتويجها.

وألقت كابي بحصاة في الماء ورأت الدوائر التي أحدثها سقوطها وقالت في نفسها إن نظرة من فليتشت تحدث في داخلها أثراً أقوى من هذه الدوائر. فإن رغبتها العاطفية استثيرت وتشجعت، واتضح لها أن حبها فليتشت، مثل رغبتها قد أصبحا لا يحتملان التكرار، كما ازداد حبها له يوماً بعد يوم.

وحاولت أن تتجاهل الأسابيع القادمة لأن أباها سيعود قريباً من المستشفى ثم سيضطر فليتشت إلى الرحيل، رغم أنها في وقت من الأوقات كانت تتحرق لمجيء ذلك اليوم. أما الآن فقد بدأت تشعر بالفراغ الذي سيحدثه رحيله في

حياتها وهو فراغ أخذ يضعها بشروده ويكشر لها عن أنيابه ويلهيها ويتركها نهباً لمرارة مؤلمة. وربما كانت فكرة رحيله تسبب لها مثل هذه الكآبة الآن، وهو مازال موجوداً، فكيف يكون الحال بعد رحيله؟

وسقطت قطرة ماء على ذراعها بينما هبت في الأرض ريح لم تلقها مقرقعة، فحولت عينيها عن البحيرة ورفعتهما إلى السماء ورأت البرق يومض وهو يشق طريقه عبر السحب المتراكمة التي تسير بسرعة في طريقها وسرعان ما اهتزت الأرض ثانية بأصداء، عقبها بينما سقطت عليها قطرة أخرى من الماء. فقد كانت العواصف المفاجئة شيئاً عادياً بالنسبة لولاية فيرمونت، والتفتت كابي نحو البقعة المزروعة التي تركت حصانها يرعى فيها.

كان رأسه منتصباً وعيناه تزوغان خوفاً من البرق المنبعث من بين سحب العاصفة، وفجأة تحفز الحصان، ووقف على قدميه عندما دوى الرعد ثانية قبل أن ينطلق بعيداً عن البحيرة. فهبت كابي واقفة تنادي على الحصان الذي أخذ يعدو خائفاً بعيداً عنها، ورأسه عال وهو يميل بها إلى أحد الجانبين ليسرع اللجام من اللحي، في طريق أخاده بعد. فعادت كابي تنادي بكل قواها «تال، تال!».

إلا أن نداءها راح هباء وتلاشى مع صوت القطر الشهير. وفي لحظات ابتلت ملابسها وقالت لنفسها أن لا طاقة لها من الوقوف هكذا، وهي تنظر إلى الحصان الهارب. فمشت إلى قمة التل تتبعه وتحاول استرداده، لكنه كان يختفي عن نظرها. وفي ثورة غضبها وضعت إصبعين من يدها في فمها وأطلقت صفيراً لاستدعائه لكن بلا طائل، إذ لم يتطرق الحصان من غضبه. ونظرت متوجهة إلى السحب الثقيلة قبل أن تبدأ مسيرتها متجهة نحو المنزل الذي يبعد سبعة أميال تقريباً عن المكان الذي كانت فيه. وفكرت وقتئذ لو أمكنها ألا تشعر بالندم والازدراء لنفسها لتورطها في هذه الورطة، وألا تضيع وقتها بالنظر إلى السماء، إذ عادت أدراجها تبللها وهي في حذائها الطويل

وفجأة سمعت صهيل حصان، توقفت له خطواتها وارتسمت ابتسامة الأمل وظنت أن تالي قد عاد إليها ولكن عندما نظرت أمامها رأت كايتي حصاناً أبيض يقترب منها. وكانت المفاجأة! فصاحت قائلة:

«كيف حالك اليوم يا ميركوري؟»

وكان صوتها ناعماً، مداعباً للحصان الذي أخذ يضع فمه بالقرب من وجهها، وقالت مسترسلة في حديثها:

«ليس لدي سكر اليوم»

وومض البرق ثانية وكان قريباً منها هذه المرة. اقتربت بكل عنقها وتأكدت كايتي أن لديها فرصة واحدة للوصول إلى المنزل قبل أن تنفجر العاصفة بأقصى شدتها وينهمر المطر. لكنها لم تركب ميركوري من عدة سنوات، وكانت المشكلة هي قدرتها للسيطرة عليه وتوجيهه إلى المزرعة بمجرد وخز ركبتيها في جنبيه.

ولم تجد أمامها مناصاً من تجربة هذه الطريقة القديمة. وانتاب الحصان الفزع عندما اعتلت ظهره العاري من السرج. وتحرك الحصان تحتها بقلق بينما أخذت كايتي تتحدث إليه بصوت خافت وتحاول أن تبعث فيه الثقة قبل أن تطلب منه الانطلاق في طريقه إلى منزل المزرعة. فأخذ الحصان يسير بتردد وبطء وهو يحاول أن يعود نفسه على الثقل الذي وجده فجأة على ظهره، والذي لم يشعر به منذ سنوات، إلا أن الذكريات والعادات القديمة سرعان ما عاودته. وهكذا تحكمت كايتي في دفعه للعدو، وكان الحصان الأبيض العجوز يستجيب لأقل ضغط من سيقانها بنفس السرعة التي كان يستجيب بها عندما كان صغيراً وكان هو وكايتي لا يفترقان.

وسقط المطر بغزارة وأصبحت قطراته كحبات البرد وهي تقع عليها وعلى حصانها وسرت في الأرض ذبذبات وأصداء تحت حوافر الحصان مثل دوي الرعد. بينما أخذت السماء تلمع بوميض البرق ثم تعود وتسود لونها ثانية. وأسرع

«ميركوري» في خطاه حتى أخذ يعدو بكل قواه. وكانت سرعته تزداد تدريجيا بدون أن تنتبه «كايتي» لذلك حتى لاحظت الأرض وهي تنطوي تحتها بسرعة هائلة.

ولم تكن لديها طريقة تهدئ بها سرعة الحصان. وكل ما كان في وسعها هو الضغط على جانبيه الملتهبين بالعرق بساقيها المبتلتين. وأخذ قلبها يدق في حلقها وهما يسرعان فوق أرض «ساتنهيلز» وأيقنت «كايتي» أنه يجب الإبطاء من سرعة الحصان إذ أن السرعة ضارة لمن في مثل سنه. لكنها مثل حصانها، كانت تذكر تلك الأيام الخوالي، عندما كانا يعدوان هكذا عبر البراري. وأخذت تقنع نفسها أنه ربما لا يجهد نفسه، وأن خطاه لم تكن تسبب له عناء كعهدها به دائماً.

وفجأة وهي تسبح في هذه الأفكار، شعرت باختلاف في وقع خطى الحصان وحتى قبل أن يقع «ميركوري» كانت «كايتي» تعلم أنه لا بد أن يقع. فقفزت من فوقه وهو ينقلب رأساً على عقب في الهواء وسقطت إحدى الأشجار [illegible] من [illegible] ووقع [illegible] ووقفت على قدميها وهي تلهث، وبسرعة [illegible] إلى أن جسمها خال من أي كسور في عظامها. ثم استدارت بعينيها الداكنتين نحو جسم الحصان الهامد الراقد على بعد بضعة أقدام من مكان وقوفها. تعثرت قدماها وهي تتجه إليه وزحفت نحوه. وامتلأت عيناها بالدموع وهي تجثو بجانب الصدر الضخم الذي كان يبتلع كميات كبيرة من الهواء قبل ذلك بلحظات. أما الآن فقد كان الصدر هادئاً تماماً. تصلبت فيه قائلة:

«ميركوري»

وامتدت يدها لتلمس خصلته الأمامية وأخذ جسمها كله يرتعد وتأكدت أن حصانها قد مات. وأخذت «كايتي» الرأس البيضاء على حجرها وهي تبكي، بينما أغلق الموت للأبد عيني الحصان اللتين كانتا تشبهان عيني الغزال. ودفنت رأسها في عنق الحصان وقالت له بصوت هامس مرتعش:

«إلى اللقاء»

www.filas.com

غاب الآن عنها صديقها وأعز ما كانت تملك، ولم تعد تهتم بالبرق أو بالرعد أو بالمطر.

وفجأة شعرت بتناقص هطول المطر وتوقفه تماماً بعد هدوء العاصفة. ولم يغب تفكيرها بعيداً عن الحصان الذي في أحضانها غير يدين أحستا تنقضان على كتفيها فنظرت بعينيها السابحتين في الدموع إلى العينين الرماديتين اللتين تطلان عليها بحنان من تحت حافة القبعة المبتلة.

ـعاد حصانك وحده إلى المزرعة فقالت متلعثمة:

هذا هو كل ما قاله فلينت. بينما ضم كاتي إلى صدره العريض حيث أخذت تنتحب من جديد.

ـكنت أركبه. وأخذ يعدو. ولم أستطع إيقافه

كانت تتكلم بصعوبة بسبب الغصة التي تركت في حلقها من الحزن غير أن احتواءه إياها بين ذراعيه بعث إليها الطمأنينة وجعلها تواصل الكلام:

ـثم.. ثم سقط. لقد مات يا فلينت.

نظرت كاتي في عينيه فأزاح فلينت خصلات الشعر التي على وجنتيها وقال بابتسامة حانية:

ـلا تلومي نفسك يا كاتي. أليس هذا أفضل له؟

وأسندت كاتي رأسها فوق كتف فلينت. وأخذ قلبها يهدأ في صدرها

وعندما لامست شفتاه شعرها لم تتمالك من الالتصاق به والاستكانة بين ذراعيه، وشعرت بشفتي فلينت تلمس جبينها وحركت مشاعرها. ثم مسح بشفتيه الدمع من وجنتيها وقبل النمش الذي يرتسم على أنفها وضغط بيده على كتفيها وأخذ يهمس باسمها بحنان وبصوت خافت.

وفتحت عينيها المرتعشتين لتنظر في وله إلى عينيه الرماديتين. وأحست بيدها تداعب خصلات شعره الناعم وهي تجذبه نحوها أكثر فأكثر. واكتنفتها موجات من السعادة الغامرة التي تركتها أكثر ضعفاً واستجابة. وكانت اللحظات عميقة

بحيث رفعتها إلى قمة السعادة، وشعرت بحاستها الفطرية باضطرام مشاعره مثل مشاعرها وأسعدها أنها نجحت في بث نفس الشعور فيه.

وفجأة شعرت بالخوف وأخذت محاولة أن تتخلص منه. وترفض القلب في الاستسلام لمشاعرها إلا أن فلينت تجاهل محاولاتها واستمر في التعبير عن حبه. وهتفت كاتي: ألا تستجيب

وأخيراً نظر إليها فلينت وابتعد عنها وعندئذ فتحت فمها لتتكلم أسكتها قائلاً:

ـلا تعتذري.

وأمسكها بخشونة من كتفيها وأرغمها على مواجهته وقال:

ـما كان في وسعك أن تكبحي جماح مشاعرك يا كاتي ونحن نعرف ذلك.

وكان الغضب في صوته ووجهه، وشعرت كاتي بالاختناق لأن العبارة كانت موجهة لنفسه وليس لها.

وقال لها فلينت بلهجة الآمر:

ـاركبي جوادي وعودي للمزرعة، وأرسلي سام إلى هنا ليساعدني في نقل سوكوري.

وألقت كاتي نظرة على الحصان الأبيض ثم على السحب الرمادية التي أخذت تنقشع وقالت في نفسها أنها كانت إحدى العواصف العنيفة المألوفة في الجبال الريفية بولاية تكساس التي خلالها تكون السماء صافية، وفجأة تمتلئ بالسحب الرعدية وبسرعة تمر العاصفة تاركة ورائها الخراب والدمار. ونظرت إلى فلينت ورأت التعبير الصارم المرتسم على وجهه. فهل كان مثل إحدى هذه العواصف بحيث جاء فجأة وبدون أن يتوقع أحد ليدمر حياة المزرعة الرتيبة وحياة كاتي ثم ينصرف بالسرعة التي جاء بها؟

وعادت نظرتها تقع على سوكوري وشعرت حقاً بحزن شديد لموته وفقده بعد

ألم تر بسرعة أيضاً القلب الذي ولد بينها وبين قلبك؟ وما الذي سيولد في مكانه؟ لا شيء سوى القلب الكسير!

وقالت في نفسها أيها المسكين، ميركوري، كم أنت محظوظ لتحررك.

ثم أطلقت صفيراً وراءه قليلاً وانصرفت.

١١ ـ من يقاوم الشمس؟

كان ذلك العصر شديد الحرارة بحيث لم تكن نسمة ولم تهتز حتى أوراق الشجر، وكانت شمس الغروب كرة من اللهب تلفح الأرض الرملية بحرارتها. وكانت كاتي مكتئبة ومتوترة الأعصاب، وهي حالة لازمتها في اليومين الأخيرين. وما زاد من عصبيتها اليوم زيارتها لمزرعة سميث، فقد ذهبت إلى هناك لعمل ترتيبات استعارة مقطورتهم في اليوم التالي لتنقل الأسرة في الناقلة الثالثة، ولسوء حظ كاتي كانت الأسرة كلها مجتمعة حول الشرفة عندما وصلت إلى مزرعتهم.

وحياها والدا ستيفي بنفس الحماس الذي تعودته منهما وأصرا أن تجلس معهم وتتناول كوباً من الشاي، وكان تصرف ستيفي وغضبه واضحاً بحيث لم يفت والديه أن يلاحظاه. وعندما تكلم أخيراً، كانت أسئلته التهكمية عن ماكاليستر تثير في والديه نظرات من الدهشة صوباها إليه وإلى كاتي. وحاولت كاتي أن تكون إجاباتها مؤدبة، لكن كان الغيظ في صدرها يفلت منها ويبدو في ملاحظاتها.

وحاول السيد والسيدة سميث أن يتغاضيا عن العبارات المتوترة المتبادلة بين كاتي و ستيفي، واعتبرا العداوة البادية بين الاثنين كأنها شجار يقع بين متحابين.

ولكن عندما داعب السيد سميث ابنه قائلاً:

والليلة الجمعة ولا بد ستأخذ السيارة بحضور كاتي للسينما.

عندئذ أغلقت علبة الطعام بالمعلبات وقال مبتسماً:

«إني واثق من أن كاثي و ماكاليستر [illegible] ترتيب آخر هذه الليلة، لكني سأحتاج للسيارة فعلاً».

ونظر إلى كاثي نظرة [illegible] واستأنف:

«سأذهب [illegible] إلى نويل الليلة [illegible]».

فتمتمت كاثي بأول شيء خطر لها وانصرفت، وأصبحت استعارة الطائرة في اليوم التالي شيئاً لا أهمية له. فقلت: «قد أثار ظهور [illegible] ومعاملتها كأنها شيء لا يجب الاقتراب منه وسمعتني [illegible] الآن من أجل تلك القبلة الفائقة» ربما [illegible] نويل، واضطربت كاثي لوقتها بحيث أصبحت لا تعي شيئاً مما يدور حولها.

وكان جزء كبير من مشكلتها مع فليب من صنعها هي، فقد أصبحت تجد صعوبة في النظر إليه بصراحة وثبات، لكنها تظل غارقة [illegible] يتملكها مزيج من الفرح والخجل معاً. كانت مشاعرها مضطربة ومشوشة بحيث لم تعد تدري هل تتجاهل ما حدث بينهما أم لا. إلا أن كلمات فليب المقتضبة كلما تحدث إليها جعلتها تقرر أن تتجاهل الموقف الذي ظل بينهما.

وظلت فترة بجانب أمها وأخذت [illegible] بلا طائل وهي في طريقها إلى المنزل. وبحركة ناقمة وغاضبة أغلقت كاثي خلف الباب الخلفي وراءها وهي تدخل المطبخ. وكانت الغرفة خالية بصورة غير طبيعية، إذ في مثل ذلك الوقت من بعد الظهر تكون الأم منهمكة في إعداد طعام العشاء. وهزت كاثي كتفيها بضيق وأخذت إبريق الشاي المثلج من الثلاجة. وفهمت من النظرة السريعة التي ألقتها على الفرن أنه ما من شيء يوحي بأي استعداد لوجبة العشاء.

وصبت لنفسها كوباً من الشاي، وعندما رفعته إلى شفتيها سمعت صوتاً آتياً من الباب فالتفتت وراءها متوقعة أن ترى والدتها، إلا أنها وجدت فليب بدلاً منها. وكان يدلك رقبته بحركة تدل على تعب وإرهاق. ونظر إلى كاثي نظرة متفكر شارد، وكان تعبيره جاداً وصارماً بينما بدا التعب في عينيه.

وكتمت كاثي في نفسها رغبة جامحة في أن تسرع إليه وترفه عنه. إلا أنها فضلت أن تظل في مكانها كما كانت وهي تدير ظهرها [illegible] على [illegible] [illegible] به. فقال لها بصوت جاف دل على أعصابه المتوترة [illegible]:

«قضيت نصف النهار أبحث عنك».

[illegible] كان ظهرها متجهاً نحوه لذا لم يلحظ دهشتها.

«ألا تعلمين أبداً أن [illegible] أحداً يمكن [illegible]؟»

فردت بحدة [illegible]:

«فكرت أن ذلك ليس أمراً هاماً. لكن، أين والدتي؟»

«في المرة الثالثة لا تفكري، بل أطيعي ما يقال لك».

[illegible] أن يحدثها فليب بهذه اللهجة كما لو كانت طفلة.

«أما عن والدتك فقد اتصل بها المستشفى في صباح اليوم».

«هل سيعود أبي إلى المنزل؟»

وحاولت أن تجعل صوتها يحمل بعض البهجة، مع أنها تعلم جيداً أن عودة أبيها معناها رحيل فليب.

«كلا».

كانت الكلمة الخشنة التي قالها كافية بأن تشعر كاثي بالقلق وتجعلها تبتلع غصة وقفت في حلقها بينما ظلت تنتظر مزيداً من الإيضاح من فليب الذي نظر إليها قبل أن يتابع كلامه.

«لقد أصيب والدك بنكسة، ولحقت به والدتك صباح اليوم لأن الأطباء يرون حالته خطيرة».

فامتقعت كاثي من القلق وشعرت بتوتر في عضلات معدتها من الخوف.

[illegible] كاثي أن [illegible] فليب [illegible] ولكن ليس على حساب صحة أبيها. [illegible] صراحة وجهه نظر إليها نظرة رثاء وقال:

«اتصلت [illegible] منذ بضع دقائق لتقول أنه أمضى نهاراً مضطرباً، وأعتقد أن

مكانها الطبيعي الآن هو بجانب والدك لذا سنبقى في «سكوتسبلاف» مع أمنا حتى يخرج والدك من المستشفى».

وبينما «فليت» يعبر الغرفة وصب لنفسه كوباً من الشاي، بينما نظرت إليه «كابس» في صمت. لقد كانت تكيف نفسها للأنباء التي سمعتها وللتوتر الغريب الذي استولى على «فليت». فكثيراً ما رأيته في الأسابيع القليلة الماضية وشعرت أن لديه أشياء أخرى يريد أن يصرح لها بها. ونظر طويلاً إلى المشروب الذي في الكوب قبل أن يتناوله بجرعة واحدة كما لو كان مشروباً روحياً، ثم صوب عينيه نحوها وقال:

«لقد قابلت أمي صباح اليوم».

وقبل أن يدع كلامه عليها ثم استطرد قائلاً:

«ورتبت ترتيباتي معها على أن تبقى معنا حتى يعود والدك إلى المنزل».

فاعترتها الدهشة وهي تقول:

«ما الذي تقوله؟»

وكان الغضب الذي ينم عنه سؤالها كافياً لأن يجعل «فليت» يمر على مشاعره وهو يضع الكوب على المائدة.

«تكلمت مع والدك على ذلك، ووافقني على أنه يجب ألا تبقي هنا في بيت واحد مع رجل أعزب، أي معي أنا».

«وماذا عن «مارثا»؟ إن هذا سخف».

«لا يعتبر أحد في الخامسة عشرة من عمره رقيباً ملائماً علينا».

«هذا هراء! تتكلم كأنني فتاة بدائية يجب أن يغلق عليها البيت بالمفاتيح».

وهزت رأسها وهي لا تصدق ما تسمعه.

وقبل أن يقول «فليت» شيئاً يعبر به عن الغضب البادي في عينيه قالت بسرعة وغضب:

«اطلب إليها ثانية وقل لها أنني لن أحضر، فمكاني هنا في المزرعة وبعد ذلك عمل

كثير لا يمكنك القيام به وحدك».

فضرب بيده على المائدة بقوة جعلتها تقفز من مكانها وقال:

«لا تتهوري يا «كابس» إنني لا أريد هذا».

وشعرت كأن يده قد مست أعصابها بينما أخذت تنظر إلى العينين العنيدتين اللتين لن تحيدا عن رأيهما وشكلت صراحتها حركتها بنفس القوة التي أحرزتها لذاتها في يوم من الأيام.

فاستدارت «كابس» والدموع تملأ عينيها إذ لم يبق لديها شك في حقيقة شعوره نحوها، فلو رسم لما يريده صورة لما كانت أوضح من كلماته التي سمعتها الآن. كان متبرماً من وجودها لذا قررت «كابس» أن لا تبقي باقية من كبريائها هي الأخرى وصممت على إطلاق اعترافها بالهزيمة، وقالت بصوت هادئ:

«سأذهب».

وسمعت «فليت» يتنهد راضياً ولكنها لم تكن تنهيدة الارتياح لقرارها بل تنهيدة الضيق والألم، وأمسكت يداه بكتفيها وأدارها لتواجهه، غير أن «كابس» سيطرت على نفسها حتى لا تتصرف كما كانت تود أي أن ترتمي في ذراعيه وتستند إلى صدره الذي يغري بالطمأنينة إليه.

«لقد تناولت هذا الموضوع بصورة غير سليمة».

وكان «فليت» ينتقي كلماته بعناية ويحاول أن يبدو منطقياً مسيطراً على نفسه إلا أنه كان بادي الانفعال.

«أريد أن أقول أن هناك أشياء قد حدثت بيننا».

وتعلق بعينيه في عينيها لتساعده على إتمام ما يريد قوله، إلا أن «كابس» ظلت متراجعة، وقد بدت نظراتها التي تحمل كل معاني التحدي، لذا أثار عدم تجاوبها معه غضبه الشديد وعاد يقول:

«لقد بقينا هنا بمفردنا...

وتوقف عن الكلام ونظرت إليه كاتي في دهشة وأخيراً أدركت. قالت بتواضع ورقة:

- بصراحة، أعتقد أنك رائع في حبي.

وكان تعبير وجهه الصارم قد صبغ وجهها بالاحمرار لشعورها بالخيانة. وسألت نفسها لماذا تفضحها مشاعرها دائماً أمامه؟

وحاولت أن يبدو صوتها بارداً وهي تحاول مقاومة رجفة جسمها:

- يا لك من رجل أناني لم أر له مثيلاً، فهل اعتمدت على وقوع الفتاة في حبك بحيث تعتبر ذلك من حقك؟ فلا بد أنك تؤمن بضرورة التعبير أن حركة واحدة منك تجعل أي فتاة ملكاً لك.

وتوقفت قليلاً لتسترد أنفاسها ثم عادت تقول:

- دعني أقول لك يا فلينت ماكاليستر.. إني لست من هؤلاء الفتيات. وكنت متأكدة طوال الوقت أنك رجل تستحق الازدراء. جاريتك في تصرفاتك فقط لأني أردت أن أعرف هدفك. وعليه فلا تجهد نفسك في ضمي إلى قائمة غزواتك.

- هل تقولين لي الحق؟ لأنك إذا لم تكوني كذلك أنت أحق أوقاتي..

وكانت أصابعه تقبض على كتفيها بشدة. فنظرت إليه وهي تهزأ من محاولته الوصول إلى معرفة حقيقة شعورها نحوه. ثم قالت بتهكم:

- حسناً فطناً.. اتركني حتى أذهب لأحد مرضاي. إذ سيسعدني أن أفهم أنك حقيقة أنفها الأكبر.

فتركها فلينت فجأة وقال بصوت أجش:

- اذهبي.. واخرجي من هنا.

فردت عليه بنفس الشدة:

- بكل سرور.

وبعد ثلاث ساعات وصل فلينت و كاتي إلى المستشفى. وبدا على

جون فيلمور أنه أصبح أضعف مما كان لكنه استطاع أن يداعب ابنته ويقول لها إنه أتى إلى المستشفى ليمرضها. وتعجبت كاتي كيف أمكنها أن تبدو طبيعية وفي نفسها خليط من الألم والرعب، يجردها من أي شعور آخر. وتفادت الإشارة إلى فلينت ماكاليستر الذي وقف ساكناً في الغرفة بعد أن تبادل بصعوبة ما لا يزيد على خمس كلمات مع جون فيلمور ثم وقف مستنداً إلى الحائط وهو ينظر إلى كاتي.

ومرت فترة انتظرت كاتي فيها أن تواجه نظرات والدها الملحة بالتساؤلات بعد أن أخبرها أبوها أن كاتي ستقيم مع خطيبها فلينت. لكنها نجحت في تخفيف حدة هذه العبارة وقالت كاتي متضاحكة:

- ما رأيك في هذا يا أبي؟ أنت تقول إن هناك جاذبية سحرية لكل شيء، وما دمت في المستشفى فإني سأقوم بإجازة قصيرة أستريح فيها.

ونظرت الأم نظرة خوف وجهتها إلى كاتي ثم فلينت. وعلى الرغم من أن كاتي بدت طبيعية إلا أن فلينت لم يكن طبيعياً ولا لوجود أي في الدنيا لا تلحظ الأمور الخفية التي كانت ترسيل تشعر بها وهي تحدث في بيتها في الأسبوعين الماضيين. فهل ارتكبت خطأ بموافقتها على الزواج من فلينت؟ بأن تقيم كاتي مع فلينت؟ لقد بدا الانزعاج محتملاً في أول الأمر، وعندما همت بأن تسأل فترة تسأل أبوها عن الفرار من المتاعب المزعجة بينها وبين فلينت. دخل أحد الأطباء ليطمئن على مريضه. فانتهز فلينت الفرصة واقترح أن ينصرف هو و كاتي. وقد بدأت كاتي قلق من انتظام بالخرج. لما وافقت مسرعة على الاقتراح. لحينه. ولحت رغبة لتطمئن أبيها على أنها ستأتي لزيارته كلما استطاعت.

ولم تتوقع كاتي أن تكون الرحلة من سكوتسديل إلى أرتشالا طويلة إلى هذا الحد كما لم تتوقع أن يصاحبها فلينت في أثنائها بهذه الغطرسة وهذا الاحتقار حتى تغير وجهه الذي طالما كنت تبدو نعومة كان ينم عن

الغضب، علاوة على النظرة الجافة في عينيه. أما هي فلم تحاول التخفيف من حدة التوتر في السيارة، بل انزوت بجانب الباب ونظرت من النافذة وحاولت أن تتخيل فلينت غير موجود فيها على الإطلاق.

وعندما مرا بـ نيشيش ريك، شعرت كابي بالدموع الحبيسة تعكر صفو عينيها، وأخذت تفكر بما ينتظرها من متاعب.

لقد أصبحت تعترف بحبها لفلينت كليتي واللتي. لذا فإن رفضه إياها وعدم رغبته في وجودها معه جعلا كالجرح النيئ الذي أبت كبرياؤها أن تفصح عنه.

وظهرت مياه بحيرة ماكوري وهي تمتد من خلف التلال الرملية التي تحد وادي نهر بلانت، ووجدت كابي نفسها تفكر في الطفلين اللذين كانا يخصانه. كما وجدت أنها تعرف القليل عن السيدة التي ستقيم معها، مجرد اسمها كاريول وسنها، وهو أربعة وعشرون عاماً، وعملها وهو الكتابة الحرة والتأليف. وتاقت إلى سؤال فلينت عنها إلا أنها كانت تكبح هذه الرغبة وتبعدها عن ذهنها. وشعرت أن من الخطأ الأولى في محاولة أسرته عطفاً أن تصورها نحوه بالصورة التي هي عليها. فكم هي الأيام التي ستحضرونه فيها وكأنه بينهم. وارتسمت على شفتيها ابتسامة مريرة عندما تذكرت أنها قالت لوالدها أن رحلتها ستكون بداية إجازة. وهي حقيقة بعيدة عن الواقع. إذ ستكون تجربة مريرة لأعصابها وشعرت أنها لن تحتملها.

وانحرف فلينت بالسيارة من الطريق العام إلى البحيرة، وفي غمرة الغروب الخافت لفت نظر كابي كوخ حديث الطراز ذو شرفة واسعة خلف المبنى، ويطل على مياه البحيرة الزرقاء. ودل الطراز البسيط على أصالة وذوق رفيع، وهو السبب الذي جعل كابي ترتجف حين أوقف فلينت السيارة عنده، فقد بعث تواجدها في نفسها شعوراً بالخوف وجعلها أكثر حساسية بسبب تواضع أصلها وحقيقة أسرتها.

وتوقفت السيارة في نفس الوقت الذي تعثرت فيه دقات قلبها، وأوقف فلينت المحرك وانتظرت كابي بلهفة فتحه لباب السيارة معلناً انتهاء الرحلة، إلا أنه تمهل ولم يفتحه، بل التفت إليها في ظلام السيارة، فعادت دقات قلبها تسرع من جديد. وكانت المسافة بينهما صغيرة بحيث يمكنها أن تصبح بين ذراعيه في لحظة واحدة. وانتعشت ثورة مشاعرها المفاجئة، رغم أنها استعادت في مخيلتها ذكرى اللحظات الحالمة وهو يقترب منها.

وقال فلينت بصوت خنون أثار أعصابها أكثر من أي شعور بالغضب:

«قلت لي في المستشفى أنك ستقومين بإجازة. أرجو أن تكوني جادة في ذلك. فقد حدثت أشياء كثيرة في الأسابيع القليلة الماضية تحتاجين للراحة منها. لذا فإن حياة الهدوء ستتيح لك فرصة التفكير بإمعان وتعطيك مهلة للتعرف على حقيقة مشاعرك بشأن أشياء كثيرة.»

أجابت عليه بحدة:

«كف عن التمثيل. فأنت تعلم جيداً أنني لست تلك الأنثى أبي. لذا وفر شفقتك للفتيات البائسات اللواتي يقعن في حب الرجال الناضجين المحبين لأنفسهم مثلك.»

واندلع الغضب في عينيه ثانية قبل أن يعود إليهما هدوؤهما:

«يجب أن تدفعك حماستك إلى الاعتراف بأن ما أقوله هو الواقع.»

«قلت في حماسي أنه ما كان يجب أن أصفك بـ أنكوريل بالتحديد. وأكثر حقيقة اكتشفتها هي أنني لم أستطع تحاشي هذه.»

تمهل فلينت وقال:

«ستعترفين لحظة أكبر إذا استمررت في مقاومتي.»

أجابت عليه ثانية، وهي ترفض الاعتراف بأنها كانت خائفة من تهديده:

«لا فائدة من الكلام معك.»

ثم فتحت باب السيارة ونزلت منه قبل أن تتيح له فرصة منعها، وشعرت كأن ساقيها لا تقوى على حملها لكنها نظرت إليه بكبرياء، وهو يغلق باب السيارة

الذي خرج منه وحمل حقيبتها من مؤخرة السيارة. وأحدثت نظرة الاحتقار المرتسمة على وجهه غصة في حلق «كابي». لكن ما تمنته في هذه الساعة هو أن تبتعد عنه وتطلق العنان لدموعها التي حبستها طيلة الرحلة. فلم ترد أن يعرف أن في استطاعته إثارة بكائها. وأشار إليها «فليت» بأن تتقدمه إلى الكابين، وكان من الصعب عليها أن تحتفظ باستقامة قدميها وبرفعة رأسها وثبات مشيتها وهي تعلم أن نظرته مصوبة إلى ظهرها، وهدأت مشاعرها قليلاً عندما انفتح باب الكابين الأمامي وظهرت بقعة من النور.

ـ كنت أخشى أنكما لن تصلا أبداً.

هكذا رحبت بهما، بصوت يفيض سعادة، الفتاة الفارعة القوام ذات الشعر الداكن الواقفة في فتحة الباب.

١٢ ـ بصراحة لا أريدك

بعد أن انصرف «فليت» قالت «كالي»:

ـ كان على حق، أليس كذلك؟ لم يكن أبداً مثالاً لشهامة الرجال واحترامهم.

واعترفت «كابي» بالواقع بعكس إرادتها وقالت، وقد أزعجها أن أحداً غيرها لاحظ بروده وعدم احترامه لها:

ـ نعم كان كذلك.

كان «فليت» مقتضباً في كلامه، إذ عرّف الفتاتين ببعضهما باختصار قبل أن يعلن أنه يجب أن يعود «لستانفورد» لكي يصل إلى المزرعة في وقت مناسب. كما رفض ما عرضته «كالي» أن تقدمه له من مرطبات وانصرف بإشارة صغيرة «لكابي» على سبيل الوداع.

وبالرغم من أن «كابي» كانت لا تزال تشعر بشيء من الحرج إلا أن ترحيب «كالي» كان حاراً وودوداً، وظلت تحاول خلق روح من الود والصداقة بينهما. وكانت مشكلة «كابي» هي أنه برحيل «فليت» أصبحت مجردة من الدرع الواقي الذي كانت تحتمي به، فبعد أن انقضت رحلة من التوتر والضغط وجدت نفسها توشك على الانفجار والبكاء، وقالت لها «كالي»:

ـ لدينا مشروب ساخن في المطبخ فأرجو أن تدخلي وتستريحي في غرفة الجلوس حتى أحضره لك.

ـ شكراً، سأفعل ذلك.

وكانت الغرفة مبهجة إلا أن «كابي» لم تكن في حالة تسمح لها بأن تشعر بـ

جوفاً من مصابيح، وكانت الجدران مغشاة بإفريز من الخشب كما يغطيها طلاء زيتي قمحي. ووجدت في الغرفة كرسياً من القش الأبيض يغرينا بالغوص في أعماقه والاسترخاء في أحضانه. لما جلست كاتي عليه وغابت في وسائده الليّنة الملونة وجاءت كاتي بعد لحظة وفي يدها كوب مثلج من المرطبات يغري شاربه بالقطرات المتجمعة خارجه.

وكان طعم العصير منعشاً ومنظفاً لحلق كاتي. فساعد على ارتخاء عضلاتها وتهدئة أعصابها.

وأضافت كاتي قائلة:

ـ أشعر أنك في حاجة الى شراب أكثر قوة وانتعاشاً من هذا العصير.

فتنهدت كاتي وأمالت رأسها وركزت نظرها على الكوب وهي تتلذذ بسماع صوت ملامسة الثلج لجوانب الكأس ورنينه.

واستقرت كاتي بجسمها الفارع على الأريكة المجاورة وقالت:

ـ كيف حال والدك؟

ـ أحسن بكثير. وصل أخي الكبير الى غرفته هذا الصباح وبدأ في التحسن. وكان بجانبنا عندما كان ... عندما كنا هناك.

وكانت تفكر في أي شيء تقوله. شيء يبعد ذهنها من الصورة المشاكسة في قلبت عن الموضوع الذي تريد أن تتحاشاه.

وأخذت عينا كاتي الخضراوين تبحث في شيء من الزرقة المحضة. كاتي يلمعان قبل أن تستقرا على السوار الفضي العريض الذي يطوق معصمها متسائلة. قالت: القلق والاهتمام وهو يشاكسني ظهر اليوم. فهو ليس من الصنف الذي يطلب الاستشارة بلا سبب.

فابتلعت كاتي ريقها بصعوبة، لكنها لم تستطع التخلص من الغصة التي في حلقها. بتنهدت كاتي رغبة لتعطي كاتي الفرصة للتعليق على ما بالتفصيل أن تتم كلامها.

في إجازات نهاية الأسبوع التي زرتنا فيها. قلت: قال لنا الكثير عن أمريكا. فهو معجب بها كثيراً. وقال إن لك أخوين. أليس كذلك؟

فأجابت كاتي بالإيجاب.

ـ قلت: إن والدك. أليس هو الأخ الأصغر سيصبح مزارعاً وربما تاجراً للزراعة. كما يعتقد. قلت: إن ذلك مثلاً طبيعياً ومثيراً نظرية بالأرض.

فتنهدت كاتي: قلت: لا سبيل الى الهروب منه. ولهذا انسلت هاربة بالموضوع وشعرت أنها توشك أن تسيل على جنبيها دموع والقت ووضعت الكوب على المائدة وحاولت أن تستعيد ضبطها بلا طائل فقالت لكاتي وهي لا تريد أن تبكي أمامها:

ـ أرجو أن تأذني لي بالانصراف. أعلم أن الوقت مبكر لكني أشعر بالتعب وأريد أن آوي الى فراشي.

قالت ذلك وهي تحاول التغلب على صوت التعب الذي أخذ يقترب من نبراتها.

ولاحظت كاتي ووقفت تقول:

ـ لا داعي للاعتذار. فإنني أتفهم شعورك جيداً.

وقادت كاتي الى غرفة نوم صغيرة. وأرتها مرفع المعاطف والأدراج القائمة في خزانة أدوات المائدة والطبي والخزانة التي ستعلق فيها ملابسها. ثم تركتها وانصرفت. بعد أن قالت لها:

ـ يمكنك أن تتأخري في نومك كما تريدين. فأنا أعمل في الصباح الباكر. لذا ستحسين أن تغطي رأسك بوسادة إذا سمعت صوت الآلة الكاتبة. والآن أرجو أن تستمتعي بليلة سعيدة هادئة يا كاتي.

وعندما أغلقت الفتاة الباب وراءها. ألقت كاتي بنفسها فوق السرير وخلعت حذاءها وملابسها وراحت في النهاية تحملق في سقف الغرفة الذي سرعان ما غابت زخارفه في غلالة من الدموع.

في صباح اليوم التالي استغرقت كاسي نصف ساعة لكي تزيل آثار دموع الليلة السابقة، وبالرغم من محاولاتها لم تفلح الوسائل الصناعية في إزالة الشحوب الذي ظهر في وجنتيها والانكسار الذي بدا في عينيها، ومع ذلك هزت كتفيها لتقنع نفسها بأن لا داعي للاهتمام بمظهرها. وارتدت بلوزة خضراء تلائم لون بنطلونها، وعندما دخلت إلى غرفة الجلوس كانت كالي تخرج من المطبخ وهي تحمل صينية في يدها وقالت تمزح:

- هذا وقت راحتي من العمل ووقت إفطارك.

ومشت أمام كاسي في طريقها إلى الباب الزجاجي المؤدي إلى الشرفة.

- هذا ما أريده دائماً عندما ينتظر العمل وأجد صعوبة في الاستمرار في الجلوس أمام الآلة الكاتبة. فأرحب بأي عذر أقوم من أجله من أمام الآلة. وما رأيك فيما أعددته من إفطار؟ فطائر مقلية ومربى وقهوة!

- تبدو شهية.

وتبعتها كاسي إلى الشرفة المشمسة ولم يسعها إلا الإعجاب بالروب الأخضر الذي كانت ترتديه كالي وقد عقصت شعرها الطويل فوق رأسها.

ولاحظت كالي أن كاسي تطيل النظر إليها فقالت:

- هل يعجبك ردائي؟ يتوقع معظم الناس من الكتاب أن يكونوا غريبي الأطوار في تصرفهم لذا أردت ألا أخيب ظنهم.

وابتسمت كاسي وقالت:

- تبدين طبيعية في هذا الرداء ولا أعتقد أن أحداً يعتبره غريباً.

ثم سحبت كاسي كرسيها بعيداً عن المظلة وقالت:

- ما هو شعورك ككاتبة؟

- العمل في الكتابة له محاسنه ومساوئه. فالمساوئ هي عندما تضعين الورق أمامك ولا تجدين ما تكتبينه بينما الآلة الكاتبة أمامك ومفاتيحها تحملق فيك في صمت. ولكن من ناحية أخرى فإنها لسعادة غامرة عندما ترين أصابعك في ذلك

تعمل بنشاط، بشرط ألا يساورك شعور اليأس عندما ينقضي شهر مثلاً على البداية.

وأخذت كاسي تحتسي القهوة وتستمتع برائحتها العطرة الأخاذة، وعادت تسأل وهي تمد المربى على الفطائر:

- وما هي مواضيع كتاباتك؟

- قصص قصيرة ومقالات للمجلات، وهناك فكرة تجول في ذهني وتصلح لقصة طويلة لكنها حتى الآن لم تر النور ولم تصل إلى الورق بعد.

واستندت إلى ظهر مقعدها وأخذت تأكل وهي تنظر إلى البحيرة.

وفجأة امتقع لون كاسي حينما لاحظت بعد النظرة الثانية الجانب الأرستقراطي. كانت هذه القسمة الجانبية تشبه فليب شبهاً شديداً. كان لها نفس عظام الوجنتين والأنف المستقيم والحاجبين الكثيفين إلا أن عظام ذقنها كانت أكثر أنوثة ورقة، وكانت رائعة الجمال بطريقتها الخاصة. أما الآن فكانت صورة من فليب. أذهلت كاسي لتشابه ملامحها الرقيقة الجذابة مع ملامحه.

وتطلعت كالي بعينيها الخضراوين المشوبتين بالزرقة إلى عيني كاسي اللتين ملأهما الألم وقالت:

- هل اكتشفت التشابه الموجود بين أفراد أسرتنا؟

ووجدت كاسي صعوبة في مواجهة عيني كالي اللتين ملأهما الذكاء والفطنة.

- لا أدري ما تعنيه.

وارتبكت كاسي وهي تحاول تجاهل نظرات كالي المصوبة إليها.

- كلنا أعضاء أسرة ماكاليستر متشابهون في شيء أو آخر. فكل منا مثل أبينا ولدينا نفس التركيب العظمي، وبالرغم أن شعري أفتح من شعره وليست لي تلك الثنايا العميقة التي تظهر على فمه ابتسامة دائمة، وكنت متأكدة من أنك ستكتشفين هذا الشبه عاجلاً أو آجلاً.

وحاولت «كاتي» أن تخفي ارتباكها وراء فنجان القهوة وهي تعترف لنفسها بوجود الشبه بين الاخت وأخيها.

«يبدو أنك قضيت الليلة باكية».

ولم تستطع «كاتي» أن تمنع فنجانها من الارتطام بصحنه عند عبارة «كالي» التي لم تتوقعها.

«لم أصبح كاتبة ناجحة بدون قدرتي على ملاحظة الناس المحيطين بي. فلست امرأة سهلة، ولن أحاول أن أكون كذلك».

وظهرت في عينيها نظرة عطف وهي ترى تضارب العواطف تتلاحق على وجه «كاتي».

«أفترض أن موعدك ليلة أمس كان من أجل أخي وليست من أجل أبيك. فهل هذا صحيح؟»

تحملت «كاتي» [illegible] بمعضلة [illegible] عينيها كيف [illegible] أن تعرف هذا بالضبط؟ [illegible] يمكنها أن [illegible] منها [illegible] الأمر. [illegible] من [illegible]

فشجعتها «كالي» على الاسترسال في الحديث وقالت:

«هل تريدين أن تحدثيني عن شعورك؟»

فرفعت «كاتي» رأسها ونظرت اليها وهي تفكر. وشدتها «كالي» قائلة:

«انني أتكلم كثيراً لكني لا أبوح بالسر لأحد. فلا تظني أنني سأنقل أخبارك الى «فليتشر». وإذا فضلت عدم الكلام، فلا مانع لدي».

ووجدت «كاتي» نفسها ترحب بفكرة الافصاح عما يجول في قلبها لتخفف من وطأة عصفها الآلام وحدها. كما أنها شعرت بأن في إمكانها الوثوق في «كالي» كما كانت تثق في «فليتشر» في وقت من الأوقات. لكنها قررت بينها وبين نفسها أن هناك نقطة لن تتعداها في السرد بسرعة. لذا تجنبت عنها التفاصيل الخاصة وقصت عليها قصتها المختصرة أنتهاء بالعبارة التي أدلتها وهي

«بين لي بوضوح أنه لا يريدني».

واستعادت «كاتي» ذكريات الماضي والقسوة اللذين قضت بها قصتها فقد كانت الكلمات تخرج من فمها وكأنها منبعثة من شخص آخر. أو كما لو كانت قد استنفدت كل دموعها في الليلة السابقة ولم يبق لها أي مشاعر أخرى تنفعل بها.

«يا له من مخلوق عديم الشعور».

وانبعث الدخان من السيكارة التي أشعلتها «كالي» وأخذت تنفخ فيها من شفتيها الورديتين.

«بالرغم من أنه شقيقي إلا أنني أرى أن تصرفه كان جافاً».

وانعكس لون ردائها الأخضر على بريق عينيها واستطردت تقول:

«إنه لم يفطن «فليتشر» الى الفرصة التي كان في إمكانه الحصول عليها لو أنه [illegible] ما سيحدث له».

[illegible] «كاتي» [illegible] «كالي» وسألتها قائلة:

«[illegible] التي تنصحين بها؟»

فهزت «كالي» كتفيها وهي تقول:

«إنه مفروضة عادية... والآن يجب أن أعود الى [illegible] عملي. ويمكنك أن تمارسي رياضة السباحة إذا أردت. فالشراشف هنا ساخنة للغاية».

وبعد انصراف «كالي» بدقائق سمعت «كاتي» صوت قرقعة الآلة الكاتبة انبعثت وقت لم كانت في الغرفة حيث كان في استطاعتها أن تشغل نفسها بعمل ما. لكن ما كان أمامها الآن هو النظر الى جمال السماء بشواطئها الرملية الممتدة حول الدار التي تحاكي زرقتها زرقة السماء. ففي وسط كل هذه الروعة من شمس وبحر وسماء، كانت «كاتي» تشعر بآلام حبها لـ «فليتشر».

وأخيراً صوت التليفون وهو يرن في المنزل وكأنه جرس منبه يوقظها من حلم مزعج. وانتظرت «كاتي» لترد «كالي» على التليفون. لكن صوت الآلة

www.fiilas.com

الكتابة تمضي على الورق ولم تتوقف. وأدركت كاتي أن كاتي ربما لا تريد أن يعرف أحد أنها في المنزل، إلا أنها لم تستطع تجاهل رنين التليفون أكثر من ذلك لذا ردت عليه.

وجاءها صوت رجل وهو يرد من الجانب الآخر بمرح جعل قلب كاتي يدق بسرعة زائدة.

«هل هذا أنت يا كاتي؟»

ولوهلة قصيرة، ذكرها صوت ذلك الرجل بصوت فليتشر العميق. وكادت ركبتاها تتخاذلان عنها بينما ارتمت على الأريكة بجانب الطاولة التي عليها التليفون.

«كلا. لست كاتي. سأناديها لك»

ووجدت كاتي صعوبة في السيطرة على صوتها، ووضعت السماعة جانباً قبل أن يسترسل الرجل في كلامه، وأسرعت إلى الغرفة التي تعمل فيها كاتي ودقت برفق على الباب وقالت:

«هناك مكالمة تليفونية لك»

ورفعت كاتي عينيها عن الآلة الكاتبة وهي تسأل:

«من المتحدث؟»

«لم أسأل. إنه رجل»

«لن أستطيع التحدث إليه»

وابتسمت كاتي ابتسامة عريضة.

ولم يسع كاتي إلا الاستماع عفواً للمحادثة الآتية إلى أذنيها من جانب واحد.

«هالو. كنت أعمل. تعرف كيف أكون عندما أجلس أمام الآلة الكاتبة فلا يعرف الباقي عنها إلا انتظار قليلة أنت تقصد إنها كاتي ويلسون. فلا بد تذكر أن فليتشر تحدث عنها كثيراً. فهي ستقيم معي حتى خروج والدها من

المستشفى. إنني آسفة حقاً بشأنها، لذا دعنا نؤجل ذلك حتى نهاية الأسبوع. إنني أتطلع إلى اللقاء... إنني أعدك»

واستدارت كاتي إلى كاتي بعد أن وضعت السماعة في مكانها وعيناها تبرقان من الضحك وهي تقول:

«كنت على حق، هذا الرجل هو أبي. وسيحضر مع أمي في نهاية الأسبوع القادم لأنهما مغرمان بالصيد لدرجة الإدمان. ومن الصعب إبعادهما عن بيج ماك مدة طويلة»

ثم أضافت كاتي تقول وهي تفسر عبارتها:

«بيج ماك هي البحيرة، وهو اختصار محبب لبحيرة ماكنزي وهذا الاسم الذي يستخدمه أهل المنطقة»

وكانت الابتسامة التي حاولت كاتي رسمها على وجهها قد أفلحت فقط في رفع جوانب شفتيها. وتذكرت أنه لا يحتمل أن يخرج والدها من المستشفى في الأسبوع التالي، وتساءلت ألا يكفيها أنها مضطرة للسكن مع أخت فليتشر؟ هل هي مضطرة أن تقابل والديه أيضاً؟

لاحظت كاتي عدم حماس كاتي لخبر مجيء والدي فليتشر تقريباً ولكنها لم تعلق عليه، بل استأذنتها وعادت إلى الغرفة المجاورة لعملها.

١٣ ـ زهرة ضاحكة

ومرت الأيام بطيئة متثاقلة، وكان النهار بالنسبة لـكاتي عبارة عن ساعات طويلة كئيبة تشعر فيها بثقل حملها كحمل ثقيل تنوء تحته، حتى لم تعد تقوى على احتماله. حاولت كاتي في الأيام الأربعة الماضية أن تملأ وقت كاتي بأشياء تشغلها بها عنها.

وأخذتها مرتين في سيارتها لتزور والدها في المستشفى، لكنها كانت زيارات مليئة بالتوتر وحرصت فيها كاتي على كلماتها حتى لا تفضح حقيقة مشاعرها. لقد افتقدت والدها كثيراً وكانت تتوق إلى اليوم الذي يعود فيه إلى بيته، ولأول مرة وجدت كاتي صعوبة في مناقشة شؤون المزرعة مع أبيها، فكل جملة من كلامها كانت تحتوي على اسم فليت، بل أصبحت الحياة ذاتها الآن مرتبطة به برباط متين.

وبذكائها الحاد وحساسيتها المرهفة فهمت كاتي المشكلة وحاولت أن تصحح الوضع فوراً، فاصطحبت كاتي في الأمسيات الأخرى في رحلات لزيارة أوغالالا التي تبعد عشرة أميال عن بحيرة ماكونوي. وأخذت تريها كل المعالم التي تجعل أوغالالا عاصمة رعاة البقر في ولاية نبراسكا مثل القصر المبني على التل وشارع فرونت، ومقابر بوت هيل، وغيرها. أما مجموعة الصور الباهتة لرعاة البقر التي رأتها كاتي في المتحف الرسمي في نهاية الطريق، فكانت تذكرها بفليت كما رأته كاتي مراراً وعيناه ترقبان الأفق البعيد. أما الوحدة الموحشة التي تحيط بمقابر بوت هيل فكانت صدى للرعب

التي تشعر بها كاتي في قلبها.

لذا كانت كاتي تصحبها معها للمتاجر وتحثها على شراء رداء بعد رداء معتمدة على ذوق روحها العصرية. واستجابت كاتي لشراء بعض الملابس الزاهية الألوان التي تزيد من جاذبيتها. لذا انتقت الملابس الزاهية الأنيقة وهي تحاول بنفسها أن تغير من شكلها، ثم تعود وتسأل نفسها لماذا كل هذا العناء؟ فالألوان الزاهية لا يمكنها أن تدخل إلى قلبها وتضفي على الآلام الكئيبة أي بهجة أو سرور.

مع أن إقامتها مع كاتي خففت من غربتها وساعدتها كثيراً على مقاومة هذا العذاب، ولكن المشكلة الكبرى أنها تعتبر نفسها في حرب عليها أن تخوضها وتشعر بالصراع يشب في نفسها كلما رأت طيف فليت يجول في مخيلتها. لذا كانت كاتي تجد راحتها الوحيدة في النشاط الدائب الذي يجعلها تلقي بنفسها على سريرها ليلاً، وتطمئن أن الإجهاد سيضمن لها النوم السريع.

هل كان النسيم هو الذي يعزف في أعواد القطن صباحاً أم هي نفسها التي تتنهد بتثاقل؟ وكانت كاتي تتعجب من أمرها فأحياناً كان الحصانان يتجولان معاً حتى تنتبه وكأن الأرض تشاركها حزنها. وقادتها قدماها على الشاطئ إلى مكان بعيد عن المكان حيث كانت كاتي منهمكة في العمل، وتسلقت صخرة تطل منها إلى المراكب المعلقة فوق البحيرة. وأخرجت سيكارة وأشعلتها بطريقة تدل على عدم إعطائها التشجيع. فقد كان التدخين من العادات الحديثة التي اكتسبتها كاتي حديثاً لكي تعطيها شيئاً تشغل يديها به، إلا أنها لم تفدها بل سببت لها التهاباً في حلقها.

وظلت كاتي بلا حركة فوق الصخرة وتركت حرارة الشمس تحرق ساقيها العاريتين تحت رداء البحر الصغير. والغريب أن هذا النشاط الجسماني كان يدفع لذهنها الرغبة لكي تستعيد ذكريات فليت. فإن حرارة الشمس على جسدها أعادت في ذهنها شعورها بلمسة ذراعيه، وبينما أطلقت العضلات النسيم

ذراعيها أخذت تضغط عينيها وتشعر بأنفاسه على وجهها وهو يقبلها ويلاطفها. ولقد كانت الرجفة التي تسببها لها هذه الذكريات أكثر إيلاماً من الرجفات التي كان فيليب يثيرها فيها.

واحتارت بينها وبين نفسها وهي تقول: ليس هذا عدلاً.

الطبيعة كلها تتآمر ضدها، فحتى السحب الرمادية في الأفق كانت تحاكي لون عينيه وتذكرها به. لون رمادي يتغير أحياناً من براق كالفضة، إلى لون السحب الرعدية العاصفة، ثم إلى القسوة والتحدي والتسلط.

وتوقفت كاتي قليلاً عند حافة الماء ثم خلعت صندلها ونزعت سراويلها من جسمها ووضعتها كلها في كومة مع حقيبة الشاطئ، والمنشفة ثم نزلت إلى المياه. وشعرت ببرودة المياه المنعشة تلطف من حرارة جلدها. وفي دقائق كانت تسبح في الماء بضربات الذراع الرتيبة. وظلت تسبح وكأنها تتسابق مع نفسها لتبتعد عن العذاب الذي يؤرقها حتى ابتعدت تدريجياً عن الشاطئ، وهي تستعين بالإرهاق الجسدي لتتغلب على الذكريات الأليمة. وبعد كل بضعة ضربات من ذراعيها كانت تخرج رأسها من الماء لتطرد الهواء من رئتيها وتستنشق غيره نقياً. ومن خلال تجمع الدماء في رأسها وقوة المياه من حولها بسبب شدة ضربات ذراعيها وساقيها سمعت صوتاً بعيداً يناديها. وافترضت الصبية وتصورت أن الصوت قادم من مكان قريب، مع أنها لم تلحظ سابحين آخرين على الشاطئ، أو معها في الماء. وفجأة اصطدمت قدمها بشيء تسبب بألمها وانقلبت بقوتها نحوه وارتطم جانب رأسها به محدثاً ألماً مبرحاً. وغمرتها المياه وهي تحاول أن تعود لتطفو ثانية على سطح الماء، بينما هي تقاوم الألم الذي أخذ ينبض في رأسها. وإذا بيد تمسك بإحدى ذراعيها ثم بذراعها الأخرى. وفجأة انتشلها شخص من الماء، ووجدت نفسها ملقاة فوق سطح مركب صغير. وهي تلهث. ورأت الرؤية حولها واهية تزحف فوق رأسها، بينما أخذت تقطر الماء من شعرها وتحاول أن تركز نظرها من خلال قطرات الماء اللامعة على أهدابها.

وانحنى جسم نحوها، وسمعت صوتاً يقول:

- هل أنت بخير؟

فمسحت عينيها ونظرت عالياً إلى الشاب الواقف أمامها.

- لقد ناديت عليك لكنك لم تسمعيني، هذا أمر رائع ولم تنتبهي للمركب المقترب.

وأرغمت كاتي نفسها على الجلوس بينما منعها شعورها بالدوار من القيام بأي حركة أخرى.

- وأنا بخير. كل ما هناك أنني أشعر بصدمة ورعشة بسيطتين.

وكان صوتها يرتجف، ولو أنها حاولت الابتسام لتطمئن الشاب الذي أخذ يقوم بتجفيفها ويجاذبها لمساعدتها، وارتاح لسلامتها واطمأن على حالتها وابتسم ثم قال:

- إن قليلاً من القهوة، يحسن بك أن تتناولي شيئاً منها.

ومشى نحو مؤخرة المركب حيث توجد سلة من القش.

وانتهزت كاتي الفرصة لتنظر ملياً إلى الشخص الذي أنقذها ثم أصبح منقذها، ووجدت أنه لا يكبرها بكثير، فربما كان في الثانية أو الثالثة والعشرين من عمره. ونظرت طوله، فقدرته بطول ستة أقدام. أما شعره فقد لفحته أشعة الشمس حتى أحالته إلى لون يكاد يكون أبيض، وكان مفتولاً بطريقة تتميز بالعضلات القوية المشدودة. أما ما بدا من جسمه من خلال سترته البحرية الزرقاء ومن أسفل لباس البحر فقد كان شديد السمرة من لفح الشمس. وعندما استدار إليها رأت أن لعينيه لوناً أزرق، والشيء الغريب هو أن ما انطبع في ذهن كاتي عنه لم تكن جاذبيته، رغم شعورها بها، لكن عدم وجود أي شبه بينه وبين فيليب. كيث، بل كان في الواقع نقيضه تماماً.

وابتسم لها عندما أعطاها الفنجان البلاستيكي المليء بالقهوة الساخنة، وانتظر وهو يراقبها حتى انتهت منها بعد أن أعادت سخونة الشراب التغلب على شعورها بالبرد. وشكرته وهي تبتسم في وجهه ثانية.

«إنها رائعة»

وعاد يسألها:

«هل ارتطمت رأسك بمركب بشدة؟ وهل أصبت بارتجاج بسيط أو بشيء من هذا القبيل؟»

وسرت شحنة الإحمرار على وجهها وشعرها كما لو كان بموقع وجود شيء ظاهر خارجي يثبت كلامه.

«لا أدري...»

وضحكت بعصبية ورفعت يدها لتتحسس الجزء المصاب تحت شعرها ولم يكن هناك شك في أن الجزء كان يؤلمها. لكنها كانت متأكدة أنه مجرد ورم طفيف لا بد أن يزول. وعادت تقول:

«لا أظن ذلك. مجرد كدمة بسيطة»

«حمداً لله»

وابتسم الشاب وتنهد معبراً عن ارتياحه. وهز رأسه ومد يده إليها وقد جلس على الرقعة بجانبها وقال:

«مستر سين سورنيسون. وقد أسعدني ارتطامي برأسك يا آنسة...»

«كاسي غيلمور»

وبعدما اهتزت الأشرعة الحمراء والذهبية وانتفخت بعد أن ملأها الهواء الذي أخذ يشتد قليلاً، وزاد نشاط سين وحركته، وأخذ يجذب الحبال ويدير الدفة. أما كاسي التي لم يسبق لها أن ركبت سفينة شراعية قبل ذلك، فقد أخذت ترقبه باهتمام وشغف، وسرعان ما كانت تطير فوق سطح الماء. وقال سين:

«ما رأيك في رحلة حول البحيرة؟ أليس كنوع من التعويض عن ضربة رأسك؟»

فترددت كاسي بعض الشيء، إذ لم تكن تعرفه بالقدر الذي يسمح لها بقبوله، إلا أنه أعجبها، ولكنها قالت في نفسها إنه لا يمكن للإنسان أن يأمن أحداً

وعندما لاحظ ترددها قال مداعباً:

بأني لن أخدعك أو أغرر بك. وسأظل قريباً من الشاطئ، حتى إذا رغبت في مغادرتي، يمكنك القفز من المركب والسباحة إلى الشاطئ»

فضحكت كاسي وقالت:

«يطيب لي الرحلة البحرية تحت هذه الظروف، فقد سبق لي ركوب السفن وكنت أتصور دائماً أنها ممتعة»

فقال سين وكل انتباهه منصب على الشراع وحبال السفينة:

«أعتقد أنك ستستمتعين بالرحلة البحرية»

وفعلاً استمتعت كاسي بها، فقد انسابت السفينة في هدوء ويسر وبلا عناء عبر الماء مثل البجعة الرشيقة وهي تسبح في البحيرة. وظل سين وحده، فاحتفظ بالسفينة قرب الشاطئ، وشعرت كاسي كأنها تطير فوق بساط الريح. لقد كانت نزهة هادئة لا يعكر صفوها صوت أي محرك.

وكانت تحيط بالبحيرة تشكيلات من الصخور، ولكل منها شكل غريب في تكوينه وجماله. وزانت الشواطئ، متناغمة بعضها، بينما كانت المياه التي تنساب على جوانبها تعكس زرقة السماء. وكان السياح بملابس السباحة وثياب الشاطئ الزاهية يفترشون ألواناً ملاءة على تلك الجهة القريبة بالشمس والرمال، التي وزاحمة السياح وطلاب المتعة والراحة. وكانت البحيرة، وكل ما يحيط بها من جمال، مثل الواحة وسط الروتين. أما الرحلة فكانت ممتعة لكاسي حتى أنها كانت تتمنى أختها ولو أن الفكرة نفسها ذكرتها به ثانية، وتمنت لو كان معها الآن خاصة أنها رأت زهرة متحدية بيضاء يعلو بها الشذا وقد نبتت على إحدى الصخور القريبة من الشاطئ، وبدت كمنارة تهتدي بها السفن. وخيل لها كأن الزهرة تضحك لها من بعيد لذا لم تسمع سين وهو يسألها رأيها في الرحلة.

وعاد يناديها فالتفتت إليه لتزيح سحابة الدمع التي غشت عينيها ثم قالت بإشارة فهم منها سين أنها سمعت نداءه رغم فرقعة الشراع.

«يوجد مرفأ في الخليج القادم به مطعم يقدم طعاماً شهياً فهل تريدين تناول

في يده.

فابتسمت وهي توافق على اقتراحه. ثم استدارت لتتطلع إلى الجهة الثانية حتى لا تضطر للكلام معه. وبعد دقائق كان يقترب بالمركب من الرصيف، وبمهارة وكفاءة كبيرتين قفز إلى الممر الخشبي وربط المركب فيه. ومدت "كابي" يدها له ليساعدها على النهوض من مكانها لمصاحبته خارج المركب. لكنه عاد يقول:

- انتظري لحظة.

وقفز إلى المركب ثانية حيث خلع سترته الخاصة بالملاحة ولبس بدلاً منها قميصاً أسمر وألقى بالسترة إلى "كابي" قائلاً لها:

- ارتديها. وارتدي هذا أيضاً.

وألقى إليها "سين" على الرصيف بزوج من الصنادل.

- إنها كبيرة. لكن شعار الطفلة هنا هو: لا قميص ولا حذاء ولا صندل.

فارتدتها ورفعت كميها إلى منكبيها. وضحك الاثنان وكانت "كابي" تمشي بصعوبة في الصندلين الكبيرين فكان من الصعب عليها أن تبقيهما في قدميها طوال الوقت. وهكذا أخذا يضحكان معاً في مرح وانطلاق. وفي المطعم طلبت "كابي" همبرغر وكوكاكولا. أما "سين" فطلب وجبة أكبر من ذلك. إذ كانت "كابي" قد فقدت شهيتها في الأيام القليلة الماضية. لذا أدهشها أنها أكلت الهامبرغر بسرعة ونهم. وكان الحديث مع "سين" خفيفاً وخالياً من الجدية. فلم يتناولا أي حديث عن عمل أو تعقيد. وعلمت "كابي" منه أنه طالب في جامعة "كريتون" بولاية "أوماها" ويعمل في "أوبلالا" في فصل الصيف. إذ قال:

- أعمل في أحد المصايف الموجودة على البحيرة حيث أقوم بصيانة المراكب. وفي أيام عطلتي أبحر في مركبي وهي هوايتي المفضلة بعد دراسة الطب. وأنت؟ هل تنوين هنا أن تعيشي هنا، أم تقضين إجازة فقط؟

فابتسمت "كابي" بحزن وقالت:

- لأبي مزرعة في الشمال في "ساندهيلز" وكسرت ساق أبي عندما ألقى به جواده من فوق ظهره. وهو الآن في المستشفى. وقد عين رجلاً ليحل محله في إدارة المزرعة أثناء غيابه. وبما أن أمي في "سكوتسبلاف" مع أبي فقد اضطررت أن أبقى هنا في "أوبلالا" بدلاً من البقاء في المزرعة مع رجل أجهله.

فضحك "سين" وقال:

- تبدو القصة وكأنها تحدث في العصور المتوسطة القديمة. ومع من كنت تعيشين هنا؟

وترددت "كابي" في الحديث وهي تشرب الكوكاكولا ببطء.

- مع "كاتي ماكاليستر" شقيقة الرجل الذي عينه هناك.

فصفر "سين" وهو ينظر إلى "كابي" نظرة جديدة وقال:

- "ماكاليستر" إنه رجل غني جداً. إذا كنت تعنين أسرة ملاك زريبة الماشية التي تقع هنا.

وشعرت ببعض التوتر إذ لم يعجبها الحديث وتمنت لو أنها لم تستحضر السؤال أو لو أنها لم تقل له الحقيقة. ثم سيطرت "كابي" على نفسها فلم يهدف "سين" بكلامه إلى شيء معين أو شخص معين. وشعرت أنها عادت لحالتها الطبيعية وعادت تقول لتحسم الأمر:

- أراد أبي أن يحصل على أحسن خدمة ممكنة.

فضحك "سين" وهو يهز رأسه ليوافق على كلامها:

- وقد حصل عليها فعلاً. قياساً على ما أسمعه عن "ماكاليستر".

وتلفتت "كابي" في جلستها وقالت:

- كم الساعة الآن؟ لأن "كاتي" ستتوقع عودتي لرؤيتها.

فنظر "سين" إلى ذراعه العارية ثم إلى الساعة القريبة فوق باب المطعم وقال:

- الرابعة إلا ربعاً.

فنظرت "كابي" إلى الساعة بدهشة إذ لم تتصور أن تستغرق الرحلة البحرية كل هذا الوقت. فقد اعتادت أن تعود من الشاطئ، كل يوم عند الظهر

وشعرت حينئذ أن «كاثي» ستعلق عليها فالتفتت إلى «سين» وقالت:

- هل يضايقك إذا انصرفنا الآن؟ إذ لم أفكر أن الوقت متأخر.

وهبت «كاثي» واقفة لتؤكد كلامها.

- كلا، لا يضايقني أن تنصرفوا.

وقام «سين» من مقعده ووضع يده في جيبه ليدفع الحساب.

لقد جابا مسافة طويلة بمحاذاة الشاطئ، من المكان الذي كانا فيه. وكانت الشمس فوقهما تسكب حرارتها بلا رحمة. وودت «كاثي» لو أمكنهما الإسراع لكن «سين» اضطر إلى استخدام المجداف ليساعد المحرك البطيء، على مناهضة التيار وعنفه. وأخيراً رأت مجموعة الصخور بجانب أشجار النخيل حيث تركت ملابسها. وأوقف «سين» المركب على مسافة قريبة من الشاطئ.

وشكرته «كاثي» بحرارة على نزهة المركب والغداء، رغم رغبتها في الإسراع بالعودة فقالت:

- لقد استمتعت حقاً بالنزهة البحرية.

ثم خلعت سترته وسلمتها له وهي تقول:

- كما استمتعت أيضاً بطعام الغداء.

وطاف «سين» بعينيه الزرقاوين على وجهها بإعجاب وهو يقول:

- أريد أن أراك ثانية يا «كاثي».

كانت حقاً فترة جميلة لم تتوقع أن تمضيها معه لكن «كاثي» لم تكن تريد تكرارها لذا قالت رداً عليه:

- لا أدري كم ستطول إقامتي هنا.

وعاد يقول وكله أمل:

- سأراك تسبحين هنا ثانية، وحينئذ سنحدد موعداً للقاء. ما رأيك؟

فوافقته وهي خائفة وقالت:

- لا بأس، والآن يجب أن أنصرف، ولا بد سأراك قريباً يا «سين».

وراقبته «كاثي» في دفع المركب من فوق الرمال ووقفت برهة على الشاطئ تلوح له مودعة قبل أن تسرع إلى المكان الذي تركت فيه أمتعتها، ولكن عندما وصلت إلى هناك لم تجد شيئاً ولم تصدق «كاثي» عينيها، لكنها حاولت وتذكرت أنها غابت عنه مدة طويلة بحيث قد يكون أحد المارة قد سرقها. لذا بدأت تسير في طريق العودة إلى الكوخ وكلها أسف وألم لسرقة أمتعتها وأخذت تلوم نفسها لتركها إياها ليراها أي شخص من رواد الشاطئ.

وعندما اقتربت «كاثي» من أشجار النخيل سمعت قرقعة الأغصان الجافة ووقع أقدام على الأعشاب والصخور. فنظرت في الظلال التي حولها ثم تسمرت في مكانها فجأة، بينما خرج من الأغصان شخص طويل نحيل. وشعرت «كاثي» كأن هزة كهربائية سرت في جسمها بينما ارتفعت يدها إلى صدرها لتوقف ضربات قلبها المضطربة الخائفة.

١٤ ـ قلق فوق الحصى

«هل كنت تبحثين عن هذه الأشياء؟»

ونظرت إليها عينان رماديتان باردتان مثل جبال الثلج بريا مد. فلبثت ... وهي تحدق أشبه الشاطئ المقفرة. إذ لم يكن طيفاً بل كان حقيقة واقعة وهو يقف أمامها.

وقالت وقد احتبست أنفاسها وحاولت أن تجمع أفكارها المشتتة وتسيطر على صوتها المتهدج:

«كيف جئت إلى هنا؟ وماذا تفعل هنا؟»

«أنا في عطلة.

أحاول تتبع تحركات الفتيات اللواتي لا يشعرن بالمسؤولية.»

شعرت كاسي بالحرج وبالعرق يتصبب منها وهو يجول بنظره عليها وهي بلباس البحر ذي القطعتين، والذي يعكس البحر الذهبي اللون وهو يقول لها بلهجة آمرة:

«ارتدي هذا.»

فارتدته وصمت طرفه إليها ولم يعد جلدها يحترق تحت وطأة نظراته إلا أنه ظل ينظر في عينيها حتى اضطرت أن تغمضهما لتحميهما من نظرته الثاقبة.

وتمتمت قائلة وهي تتركه وتتجه نحو الكارافان:

«يجدر بي أن أعود للكارافان إذ سيقلق كايل بسببي.»

«كلا.»

ووقع نظرها على السلة التي نسيتها قبل أن تنزل كاسي إلى الصخور من مكانها، وأمسك بكتفيها وهزها بعنف بدون أن يأبه بنظرة الخوف التي بدت في عينيها.

«أيتها الغبية، ألا تظنين أنني جئت إلى هنا إذن كاسي لكي أتمكن من القتال؟

إنك تؤلمني أيها الأحمق!»

قالتها كاسي وهي تلهث وأنفاسها تتسارع من الخوف، رغم إثارة مشاعرها واستجابتها لمسته.

وتوقف عن هزها لكنه أمسكها في قبضة يده وظل ينظر إليها.

«أود أن أفعل بك أكثر من ذلك. فكلما فكرت فيما سببته لكاسي، وددت لو خنقتك بيدي.»

وحاولت كاسي أن تبتعد عنه لكنه جذبها بشدة وقربها منه، وبمرونة الشفقة على كتفيها ازدادت محاولاتها للإفلات منه. ومع ذلك كانت تقاوم رغبتها في الارتماء بين ذراعيه. ورفع وجهها إلى وجهه وأسقط الرغبة التي تكمن في أعماقه على إثارتها فيها. فكل ما تمنته هو أن تلف ذراعيها حوله بحيث يضمها إليه ولا تتركه تفلت منه. واستنفدت رغبتها لتسيطر على مشاعرها وترغم نفسها على إطاعة عقلها وليس قلبها.

وأقرت كاسي الواقع وقالت:

«أعرف أنني تأخرت، لكن لم يكن الأمر سهلاً فقد هدأ الجو، ولم تعد هناك نسمة كافية لتحريك الشراع، لذا اضطررت إلى استخدام المجاديف معظم الوقت، مما جعلني أقضي وقتاً طويلاً في العودة.»

«هل قلقت بشأني؟ كلا، يا له من شعور!»

قالها ... باستهزاء، ونظرته الهادئة تسبب لها مزيجاً من الألم، وأنه تسبب وجهه هماً كاملاً كمطر ثقل الزوارق.

ولكن نظرتها بعدما بردا احتضنت يدها وضغطته على خده، وتم تهيئها لسعة ببطء

ما فعلت. لكن الذي نبهها هو العلامة الحمراء التي تركتها على خد ـ فلينت ـ وكان رد فعله بنفس السرعة التي تصرفت هي بها فقبل أن تقاوم وضع يديه وراء ظهرها وفي الوقت نفسه رفعها وحملها إلى جذع شجرة ملقى على الأرض وبلا حياء وضعها على ركبتيه بدون أن يبالي بركل قدميها، وأخذ يضربها ضربات سريعة، ولم يأبه بصراخها الذي يدل على الألم والغضب في آن واحد. ولم تمنع ـ كاثي ـ نفسها من تدليك المكان الذي ضربه من جسمها وهي تنظر إليه بغضب.

ووقف ـ فلينت ـ أمامها ويداه على خصره وقال لها بنظرة تحدي:

«أتريدين أن تجربي ذلك مرة أخرى؟ فإذا أردت، يسرني أن أعلمك مرة أخرى»

«إنني أكرهك»

وكان صوتها مرتجفاً بصورة لم تكن تتوقعها. وقال يتهكم:

«وهل من المفروض أن أتحطم لذلك؟»

«لا يهمني»

ونظرت إليه بعينيها الناعستين:

«لقد تعبت من معاملتك لي دائماً كطفلة. إنني في الثالثة والعشرين وكل ما أريده أن تظل بعيداً عن حياتي»

لكن لم يكن في وسعها أن تطلب منه أن يكون بعيداً عن قلبها

«إنني أنتظر اليوم الذي أتخلص فيه منك. فلا تشغل بالك على ذلك. أما الآن فكل ما أريده هو أن أوصلك بسلام إلى ـ كاثي ـ»

ومد ـ فلينت ـ يده وأمسك بمعصمها وسحبها وراءه بين الأشجار حيث كانت سيارته تلمع من خلال أوراق الشجر

ودفعها إلى المقعد الأمامي بأمتعتها وراءها ثم ركب في مقعد القيادة ونظر إليها وكأنه يطمئن إلى أنها لن تهرب منه. وجلست ـ كاثي ـ معتدلة وهي متكئة

على الباب وتعمدت أن تظل نظراتها في خارج السيارة، ولم تستطع تجاهل الألم الذي سببه لها ضربه إياها خاصة وأن وهج الشمس جعل مقعد السيارة شديد السخونة. ووضع ـ فلينت ـ المفتاح في السيارة لكنه انتظر قبل أن يدير المحرك. وشعرت بعينيه تتجهان نحوها لكنها رفضت أن تنظر إليه. وبدأ ـ فلينت ـ في الكلام فقال بجدية:

«أريدك يا ـ كاثي ـ أن تعديني بشيء»

فنظرت إليه بعينيها المتحديتين وقالت:

«ألا تكل أبداً من إصدار أوامرك للناس»

«أريدك أن تعديني بألا تهربي هكذا مرة أخرى بدون أن تخبري ـ كاثي ـ بمكان وجودك»

وتجاهل ـ فلينت ـ اعتراضاتها ولكنه تعمد أن يؤكد كلامه ويركز عليه فردت عليه بمرارة وهي تقول:

«إذاً لا تجعل طلبك في صيغة الأمر»

وانتشرت ابتسامة مريرة تشبه النظرة التي في عينيه واستطردت تقول:

«حسناً على أي حال أيها الرئيس الكبير»

«شكراً» ـ فلينت ـ

«يمكننا أن نتبادل الاهانات طوال اليوم»

وكان يحاول السيطرة على غضبه بينما كانت ـ كاثي ـ تتعمد أن تثيره.

«كل ما أريده منك هو وعدك بألا تفعلي ـ بكاثي ـ ما فعلته اليوم، فقد تسببت في قلقها من الساعة التاسعة صباحاً. لذا فإني أطلب هذا الطلب من أجلها وليس من أجلي»

وظهرت تقطيبة على جبينها وعادت تقول:

«ولماذا تهتم بي في الصباح بينما لا أخرج من الشاطئ حتى الظهر إذ أنني أعمل دائماً في الصباح»

«لأنني تكلمت صباح اليوم وأردت التحدث إليك. أما سبب رغبتي في الكلام معك فلا أهمية له الآن. لما نزلت إلى الشاطئ، بحثت عنك ولم أجد لك أثراً غير أمتعتك الملقاة على الرمل. فالافتراض الطبيعي في هذه الحالة هو أنك قد نزلت إلى الماء للسباحة. وبما أنك لم تزل في البحيرة، خشيت أن تكوني قد غرقت. وحمداً لله ليست كاتي من الصنف الذي يبالغ في مخاوفه، فبدلاً من طلب نجدة لتكلفنا البحث عنك في قاع البحيرة، طلبتني وأعفتنا جميعاً من الحرج. إذ كنت طيلة الصباح في صحبة صديقك الأسكتلندي».

لوت كاسي بحنق وقد أزعجتها فكرة البحث عنها من التاسعة صباحاً وإنه ليس صديقها.

فرد فليت بحدة:

«لا يعنيني من يكون، سواء أكان قريبك أو صديقك، أو عشيقك».

ولم يعطها الفرصة كي ترد إذ أدار مفتاح السيارة وارتفع صوت المحرك حتى غطى ما قد تقوله من كلمات. فعضت على شفتيها بسرعة المفاجأة حتى تذوقت طعم الدم في فمها إلى ما كانت تفعله، وكانت تفضل لو طلبت كاتي وحدة الاتكال واحتملت نتيجة ما ينتج ذلك من شرحها لسبب غيابها بدلاً من هذا الاستجواب الذي يجريه معها فليت الآن.

وكانت كاتي واقفة في الشرفة عند عودتهما ولاحظت الجو المتوتر القائم بين الاثنين. ولو لم تكن كاسي منغمسة في مشاعر مشكلتها، للاحظت أنه لا يريد أن تلتقي عيناه بوجه كاتي. إذ تقدمت إليها بلهفة لتعانقها وقالت:

«هل أنت بخير يا كاسي؟ لقد أخفتنا أين كنت؟»

«ذهبت في نزهة بحرية ولم أحس بمرور الوقت».

قالت كاسي ذلك قبل أن ينطق فليت بكلمة تهكم كان يوشك، كما شعرت كاسي، أن ينطق بها. فحدق فليت فيها وقال:

«لا بد كانت مشغولة عن كل معهود، من كان معها».

رمقت كاتي أختها بحيرة ونظرت إلى كاسي متوقعة أن تسمع شرحاً، وعضت كاسي على أسنانها وقالت مرغمة وهي تشعر بعيني فليت الثاقبتين تفحصان جسمها:

«قابلت ذلك الشخص الذي يعمل في أحد المصايف الترفيهية هنا، ودعاني لنزهة في قاربه فوافقت».

وتعثرت كلماتها لدى سماعها صرخة تعجب أطلقها فليت متصنعاً حتى يبالغ في وقع تصرفها الطائش على أختها.

وبدون أن يحيد بعينيه عن كاسي أمر فليت بأن تعد لهم شراباً منعشاً. فنظرت كاتي إلى كاسي بدهشة قبل أن تخرج من الشرفة، وعادت كاسي تنظر بتردد إلى فليت وهي تشعر برجفة خوفاً من صرامة وجهه الذي لفحته الشمس. وسألها بحدة:

«ماذا تعنين بعبارة: قابلت ذلك الشخص؟»

«أعني تماماً ما قلته للتو».

وأدارت له ظهرها واستندت إلى حافة الشرفة الخشبية واشتدت قبضة يديها حتى ابيضت مفاصلها، وتابع فليت استجوابه:

«ومتى قابلته؟»

واتضح لها من لهجة صوته أنه يقترب منها وأنه ظله على ألواح أرضية الشرفة خلفها. وأجابته بصوت تعمدت أن يبدو عادياً كأن الأمر لا يهمها:

«قابلته اليوم».

«أتعنين أنك قابلت غريباً اليوم وذهبت معه في نزهة بحرية؟»

ولم يخف الغضب الذي تجسم في صوته، وشعرت كاسي كأن يداً أطبقت على قلبها وعصرته حتى كادت تصرخ من الألم.

«لم يكن غريباً بتصميمك! لا يمكن أن تكوني بهذه السذاجة».

ردت عليه كاتي بحدة قائلة:

- لا تبالغ إلى هذا الحد في القصة، فهي ليست مرتبة.

لقد كان انتقاده لها لا يحتمل، إذ أنه لن يصدق أبداً رواية ما حدث ذلك الصباح.

وكان سيمون شاباً مهذباً فلم يخطر على باله غير مصاحبتي له في نزهة في المزرعة.

فأثارها فيليب نحوه قائلاً:

- لا بد أنه فكر في النزهة البحرية عندما رآك في هذه الملابس، ولا بد أنه فكر في أشياء أخرى كذلك.

فنظرت كاتي وانبعث الشرر من عينيها الخضراوين وهي تنظر إلى عينيه بتحد وتقول:

- ما الضرر؟ هل تشك في أنه لم يعاملني عندما سمحت له بالوصول.

وشعرت [illegible] إلى [illegible] من [illegible] بعد أن [illegible] على [illegible]

جامحة في جسدها وكانت ترى الرغبة في عينيه وهي تتجاوب مع رغبتها وأخذ يجذبها نحوه عندما فتح الباب المؤدي من المنزل إلى الشرفة.

- ها هي! لقد أحضرت القهوة، سأحضر بعض البسكويت.

قالتها كاتي ببساطة وهي تنظر إلى الاثنين الواقفين أمامها واستدارت بسرعة لتدخل المنزل.

وقال لها فيليب وهو يحدق كاتي وهي تعبر الطاولة ذات الشمسية:

- لا عليك... لم تعطني شيئاً.

فابتسمت كاتي وقالت:

- وأنها تعطني. لقد قضيت ساعة.

والتفتت كاتي إليها بعد قليل لقد كانت في حاجة إلى فسحة من الوقت لتستعيد فيها السيطرة على نفسها وعلى مشاعرها، وكان الصمت حول المائدة

رهيباً ومطبقاً وكئيباً تحت ظل مظلة بيضاء، وكانت هناك رجفة خفية يخيل لم تستطع أن تشده بالكوب. إذا جلست ساكنة في مقعدها، متحسبة [illegible]

قلت [illegible] إليه عينيه اللتين تترقرق فيهما الدموع لقد كانت [illegible] الوردية المرتسمة على وجهه ولقد كانت ساكنة أن [illegible] لما بعثت رياها بصفوها لكن غابت عنها إلى [illegible] وقربها وأخيراً قال:

- يجب أن أعود إلى المزرعة.

وأضاف قائلاً:

- هل لديك ما هو أقل من الأدب الذي يسمح لك يا كاتي بالقول عني لترسيل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كاتي [illegible] وشعرت من [illegible] الغاضب المرتسم على وجهه أنه لاحظ تسلطها على نفسها.

وعندما وصلا إلى السيارة قالت كاتي:

- أسفة لأنك لست بهذه الرحلة بلا طائل، فليتني أعرف لمن لجعلتها رحلة لها أهميتها بالنسبة إليك.

ثم [illegible] ونظرته تحوم حول وجهها الصارم:

- حتى إذا [illegible] فلا بد أنك ستعودين لتلاحقيني في منامي وأفكاري.

وفتح باب السيارة وبعد قليل لم تنظر إليها بمرونة وقال:

- أتعتقد ألا فائدة من التراجع ألا تقابل ذلك الفتى مرة أخرى؟

قالت كاتي بالإيجاب مع أنها لم تكن لديها النية أو الرغبة في مقابلة [illegible] ثانية.

www.liilas.com

وأخذ فلينت يراقب وجهها وقد علت شفتيه ابتسامة وقال:

«لا أظن أنك تعودين لمقابلته ثانية. لكنك لا تودين أن ترجعي بوعدك لي بلقائه.»

«كيف تعلم أنني لم أحدد له موعداً قريباً عند اللقاء؟»

فارتجف فمه بابتسامة تهكمية ولمعت عيناه وهو يقول:

«ربما.. لكني أشعر أنك لن تفعلي ذلك.»

وضايقتها ثقته الكاملة برأيه لدرجة أنها قالت له بحدة:

«لقد أوصلتك إلى السيارة يا سيد ماكاليستر، وحان موعد رحيلك.»

فسخر فلينت منها وقال:

«إنك ما زلت نفس الزهرة الشائكة الرزينة التي تحاول أن تغرز أشواكها في كل من يحاول الاقتراب منها. ألست كذلك يا كايتي؟»

ثم أدار محرك السيارة قبل أن تقول له:

«أغرسها في الأشخاص الذين يضايقونني فقط.»

واستدارت متجهة نحو الكابين وصوت عجلات السيارة على الحصى يتبعها وقد اختلط بصوت ضحكات سائقها المكتومة.

١٥ - حرباء أم وردة شائكة؟

«هذا هو أبي، لوكاس ماكاليستر.»

قالتها كلي وقد لفت ذراعها بحنان حول الرجل الطويل الذي يشبه فلينت شبهاً كبيراً.

ووجدت كايتي صعوبة في النظر إلى العينين الرماديتين اللتين تشبهان عيني فلينت عندما يكون في حالة دعابة. كما كانت الابتسامة شبيهة ابتسامة فلينت شبهاً كبيراً خاصة وهو يرفع جانباً من فمه ليصبح أعلى من الجانب الآخر. إلا أن شعر أبيه كان أكثف من شعره بحيث يكاد يكون أسود جدا تتخلله شعيرات رمادية عند القمة تزيده وقاراً. وهو لم يزل رجلاً مهيباً جذاباً برغم سنوات عمره المتقدمة.

«كيف حالك يا كايتي الصغيرة؟»

وصافحها الأب مصافحاً يدها بحرارة وقد بدد صوته الرنان شيئاً من شعورها بالاضطراب. ونظرت إلى عينيه في ثقة وهي تستمتع بنظراتهما الدافئة.

«كنا نتوق لمقابلتك والتعرف بك.»

ونظر لوكاس ماكاليستر بحب وحنان إلى السيدة الرقيقة ذات الشعر الأحمر الواقفة بجواره. ونظرت العينان الخضراوان إلى كايتي مرحبة بها، وقد زاد من جمال الابتسامة الخطوط الضاحكة المرتسمة حول عينيها، فلم يسع كايتي إلا أن تبادلها الابتسام.

وكانت ابتسامة الأم صادقة بددت شيئاً من الرهبة التي كانت تشعر بها كاتي.

-سمعنا الكثير عنك يا كاتي حتى أصبحت وكأنك فرد من الأسرة.

فردت كاتي قائلة:

-هذا كرم كبير منك يا سيدة ماكاليستر.

وكانت تخشى في الأيام القليلة الماضية أن تجد والدي فلينت جافي الطبع، متعاليين حتى لا يتجه إليها الحب الذي تشعر به نحو فلينت. والآن وقد التقتهما، وجدت أن ترحيب الزوجين الحار بها قد بدد ذلك الأمل القديم فقد كانا يطفحان بفيض من الحب شع منهما.

وقالت والدة فلينت، وهي تصر أن تناديها كاتي باسمها:

-ناديني باسم ميج فلسنا أسرة تتمسك بالرسميات.

وقالت ميج وهي تنظر إلى كاتي نظرة إعجاب:

-والآن أيها الاثنان إلى الشرفة وسنحضر أنا و كاتي عصير الليمون والأكواب.

وأرادت أن تطمئن أمها بأنها لا تحتاج لمساعدتها، ثم اتجه الرجلان إلى الشرفة تاركين كاتي مع ميج. والتفتت كاتي إليها قائلة:

-قد أكون متحيزة، لكني أعتقد أن والديّ من أحسن الآباء والأمهات.

فقالت ميج وهي تنظر إليها وقد ذكرها حبها لعائلتها بأسرتها التي بدأت تشعر بالوحشة نحوها:

-يبدو عليهما الشباب، لذا فلا بد أنك تستمتعين بأبويك.

فتنهدت ميج واتسعت عيناها وهي تتبع نظرة كاتي وقالت:

-يستطيع أبي أن يوقع أي امرأة في غرامه. فهل من المستغرب أنني -بوالد وأربعة إخوة من هذا الطراز- لم أعجب بأحد من الرجال الذين قابلتهم حتى الآن وبعد

أني سأظل طوال حياتي عانساً.

فضحكت كاتي وهي تنظر إلى الفتاة الجذابة ذات الشعر الأسود وقالت:

-أشك في ذلك.

لكن ذلك التعليق لم يكن مضحكاً من وجهة نظر كاتي، فعندما كانت تفكر في مستقبلها وتقارن بين من قد يصادفها من الرجال وبين فلينت، كانت تشعر بأنها إحدى النساء اللواتي لا يحببن إلا مرة واحدة في حياتهن. وكان فلينت بالنسبة لها هو ذلك الحب الوحيد. إلا أن القدر لم يسمح لها بأن تحظى بحبه، وهي حقيقة لم تجعل المستقبل يبشر بمصير سعيد.

وأمسكت كاتي بصينية الأكواب التي تركتها إليها ميج واتجهت بها نحو الشرفة، وعندما مرت أمام المرآة الموجودة في غرفة الجلوس تعجبت من الصورة التي رأتها منعكسة في المرآة. لقد كان الفستان الذي ترتديه أحمر اللون يعكس وهجاً ورونقاً على وجنتيها ولم يبد في نظرة عينيها الخضراوين إلا قليل من العذاب الذي كانت تعانيه. أما فيما عدا ذلك فقد بدت كأي فتاة طبيعية تتمتع بصحة جيدة مثل بقية البنات. وسألها لوكاس ماكاليستر عن صحة أبيها عندما دخلت الشرفة ووضعت الصينية على الطاولة حيث كان يجلس بجانبها:

-إنه أحسن بكثير ويتوق للعودة إلى المزرعة.

فعلق الأب على عبارتها قائلاً:

-هذه علامة طيبة من صاحب مزرعة.

غير أن ميج قالت من واقع تجاربها، وهي تحول نظرها بين زوجها وبين كاتي:

-هذا يعني حتماً ضرورة البقاء في الفراش أسبوعاً آخر.

فضحكت كاتي وقالت:

-لوالدتي نفس الرأي، ولكن مثل أبي، فكلانا يحب الرجوع دائماً إلى أرضنا

العادية ومكانها الطبيعي».

وهي أمنية ملحة لديه. كاتي: ألا تعتقدين أيضاً

«لا شك أن أباك سيحتاج إلى بعض الوقت ليعود إلى نشاطه المعتاد، ومركزه الطبيعي، فيجب أن يتقبل فكرة إدارة المزرعة من قبل غيره لفترة من الوقت».

ولمعت العينان الرماديتان وهو ينظر إليها واستطرد يقول:

«لو أن أبي قد أقنعني بإصراره على إدارة المزرعة بنفسه، فإن عمل المرأة الآن لم يعد قاصراً على إدارة المنزل فقط».

وكانت النبرة الحادة في صوتها موجهة نحو فلينت أكثر منها نحو والده.

«ومع ذلك هي مسؤولية ضخمة لفتاة يافعة في مثل سنك».

وابتسم لوكاس وهو ينظر إلى زوجته وعاد يقول:

«إن الفتيات الريفيات يتحملن كثيراً، لكن لا ضرر من وجود رجل يمكن الاعتماد عليه عندما يظهر ما يستدعي ذلك».

لم ترتفع عيناه لكاتي وقال:

«حتى إذا لم يظهر ما يستدعي ذلك».

فاشتعلت وجنتا كاتي بحمرة الخجل عندما شعرت أنه يعرّض بشخص فلينت. ثم سألها:

«كيف الحال في المزرعة؟»

فقالت في تردد:

«لا أدري».

فمال برأسه وهو يقول لها:

«فهمت أن فلينت جاء إلى هنا هذا الأسبوع ليقابلك. واعتقدت أن الزيارة لمشاورتك في بعض الشؤون الزراعية. لكن ربما كان الكلام ذا صبغة شخصية».

فتنهدت كاتي قائلة:

«كانت الزيارة غريبة هي التي أتت به إلى هنا، وعلاوة على ذلك فهو على علم بالفعل بجميع شؤون المزرعة مع والدي».

«وهذا ما توقعته، فلا تغضبي يا كاتي، إذ لا يمكنني أن أتصور أبي وهو يقدم تنازلاً لسيدة، حتى ولو كانت متحررة».

وتركت ميغ ماكاليستر الموضوع بسهولة وهي تحاول تحويل تفكير كاتي عن الصدمة الأصلية من فلينت، فقالت:

«سمعنا فلينت كثيراً عن أسرتك حتى كنا نتوق إلى التعرف بكم».

والآن وقد تغلبت كاتي على الصدمة التي صادفتها بمقابلة شخص مثل فلينت تماماً، انتهزت الفرصة للانتباه إلى أمه لتدرسها. لقد كان شعرها الأحمر أفتح بقليل من شعره، بالرغم من الشعيرات الرمادية التي تتخلله وتضفي عليه جمالاً ورقة. وعندما تبتسم، كما كانت تفعل الآن، كانت تظهر في وجنتيها غمازتان جميلتان تعيدان شبابها. وقالت ميغ:

«هل تعلمين أن فلينت لم يقرر أن يقبل وظيفتكم إلا بعد أن قابل والدك؟ فلينت يحترمه احتراماً كبيراً».

فابتسمت كاتي قائلة:

«أعرف أن أبي معجب إعجاباً كبيراً بفلينت وبقدرته، فمجرد شعوره بأنه ترك شخصاً في مثل كفاءته وخبرته جعل من السهل عليه قبول فكرة بقائه في المستشفى. كما طمأن والدتي أيضاً وجود رجل يدير لنا المزرعة».

وسمعت كاتي صوتاً من خلفها يقول:

«إن لك صفة نادرة يا كاتي، وهي مدح الإنسان وراء ظهره وذمه في وجهه».

فاشتعل وجهها عند سماعها ذلك الصوت، وكاد الإبريق الصيني أن يقع من يدها عندما استدارت في مقعدها لتواجهه. فقد كان فلينت يقف وراءها،

وهو ينظر إليها بابتسامة سعيدة. وأرادت «كاتي» أن تجري وتختبئ، لكنها كانت منجذبة نحوه وقد شدتها نظرته الشهوانية الزرقاء وملاحقته لها.

«أحضرت «مارك» معي، لكنه ذهب ليتفقد الشاطئ، فهو خبير بأنواع الأسماك الموجودة في البحيرة».

ثم حوّل نظره نحو والديه وقال:

«هل أنتما ستمضيان العطلة طيلة نهاية الأسبوع هنا على شاطئ البحيرة».

توقف «لوكاس» وصافح ابنه وهو يقول:

«نعتزم أن نقضيه أكبر كمية من السنة. لقد فاجأتنا فلم نتوقع أن نراك هنا».

والتفت الأب إلى «كاتي» التي كانت ما زالت تحت وقع المفاجأة، وألقى عليها نظرة كلها تعاطف وشفقة، وتابع «فليت» نظرة أبيه، وقال وهو يلتفت إلى أمه:

«لا تقلقي عليها، إنني دائماً سعيدة برؤيتي. لقد شعرت خلال الثلاثين ميلاً الأخيرة من رحلتي أن أذنيّ ترهفان السمع إلى حديث عني، فلا بد أنكم كنتم تتحدثون عني».

فقالت «كاتي» وهي تقدم له كوباً من عصير الليمون وتدفع به إلى مقعد قريب ليجلس عليه:

«يا لك من رجل متغطرس مغرور».

وقالت «بيج» وهي تغبط «كاتي» بابتسامتها التي لم تقو على أن ترد عليها بابتسامة مثلها:

«كنا نتكلم عنك بطريقة غير مباشرة، كنا نحاول التعرف على «كاتي»، فإذا ذكرنا اسمك فقد كان ذلك بمحض الصدفة».

وسأله «لوكاس» وهو ينظر نحو ابنه:

«قل لي لماذا لم تخبرنا يا «فليت» بأن «كاتي» فتاة تتمتع بكل هذا الحسن وهذه

الجاذبية؟ لقد كنت دائماً أثق بحسن اختيارك ومقدرة إحساسك».

فاصطبغ وجه «كاتي» بلون وردي، ولم تعرف بماذا تجيب لمحاولة هذه الأسرة اللبقة بدور الوسيط في عقد زواج بينها وبين «فليت»، خاصة وقد أخذ «فليت» ينظر باهتمام إلى رد فعلها لكلامهما. لقد أمسك ذلك على أساس أن الأمر لا يتعدى كونه مجرد مجاملة، وكان واضحاً أن أحداً لن يهب لنجدتها من الحرج إزاء هذا الموضوع، لكنها لا تنكر بأن شيئاً من الألم الذي يسببه لها مشاعرها، فقد كان «فليت» ربما لشعورها بالارتباك.

ونظر «مارك» إلى الشرفة ووجهه يشع بالابتسام وقال:

«أهلاً يا أخي، هنا حقاً مكان رائع وليتني أستطيع قضاء أسبوع هنا، ويمكنك أخذ مكاني في الورشة في أي وقت تشاء».

وقامت «كاتي» لترحب به وتحييه وهي تقاوم رغبتها في التعلق به، كما لو كان منقذها، لكنه كان أكثر من أن تحييه بتحية عابرة، غير أن مجرد الإحساس بوجوده قد أعطاها مزيداً من الشجاعة، عندما همّ «فليت» بأن يقدم «مارك» إلى والديه، وقال «مارك»:

«سمعت أن صيد السمك رائع هنا».

وأضاف مخاطباً أخاه «فليت» بأن والديه يحبان هذا الترفيه:

«لا بد أنهما اصطادا أسماكاً رائعة، أليس كذلك؟ لقد سمعت أن هناك أسماكاً طازجة خصيصاً من تكاثر السمك في هذه البحيرة».

واستجاب «لوكاس» بسرعة إلى فرصة تغيير الموضوع، الأمر الذي كانت «كاتي» ترحب به لقد كان يعطيها الفرصة لتهدئة قلبها المضطرب بينما كان «فليت» وأبوه يقصان على «مارك» مغامرات وقصص صيد الأسماك التي كانت تقع لقربة الشاطئ، فكان من عوامل متعة «كاتي» وحنانها أن تراقب ملامحه الحنان وأغواره الدافئة التي تحجب عينيه، وشعره الفاحم الذي مسحته

لفح الشمس. أما عندما يتحول نظرها إلى شفتيه فإن الرجفة تنتشر في جسدها وتزداد وراثها ناراً كلهيبها.

وهكذا وجدت كاثي نفسها مسلوبة الإرادة تتركز شعورها كله في شخص واحد حتى أنها انتفضت فزعاً وكادت تقفز من مكانها عندما لمست يد ذراعها وقالت لها كاثي في هدوء وفي عينيها إشفاق على أختها:

- حان موعد الغداء. هل ترغبين مساعدتي في إعداده؟

فرحت كاثي بالفكرة وهي تتفادى نظرات لينيت التي انصبت عليها وأمسكت كاثي ذراع كاثي وهما يدخلان إلى المنزل وقالت:

- آسفة لأني أزعجتك. لكن كثيراً ما يكون وجهك شفافاً بحيث ينم عن مشاعرك، ولم أرد أن يراك لينيت وأنت بهذه الصورة، ولم أشأ أن أكشف أن أصارحه بعدوانه في تصرفاته معك.

شكرتها كاثي ممتنة، وهي تعلم مدى شعورها بالخجل إذا عنت وتنظر إليها لينيت في تلك اللحظة وترى نظرة الحب التي كانت مرتسمة على وجهها وقالت:

- ليتني تعلمت أن لا أحب. فالحب من الأشياء التي تحدث أو لا تحدث.

فقالت كاثي بتهكم واضح مؤلم:

- يصاب بعض الناس بالحصبة أيضاً، لكنهم يتخلصون منها بأسرع من ذلك.

وضحكت كاثي بمرح وهي تحاول أن تضيف شيئاً من البشاشة إلى الحديث الذي كان ينذر بترقرق الدمع في عينيها:

- يشعر المرء من حديثك كأن انكسار القلب يدوم إلى الأبد.

ولكن كاثي نظرت إليها بعين كأنها تتساءل أليس كذلك؟

وشعرت الفتاتان ألا طائل من وراء مناقشة الموضوع أكثر من ذلك. فظلتا صامتتين وجلستا وهما تخرجان من الثلاجة صينية الساندويتشات والسلطات

والأطباق الفضية التي سبق إعدادها ولم تحتاجا إلا إلى رحلتين من المطبخ إلى مائدة الشرفة ليصبح كل شيء معداً. ولم يبق غير صحن من سلطة البطاطا بالكرفس وأكواب الثلج الفضية التي لم تحضراها. وامتعضت كاثي عندما عرض عليها مارك أن يساعدها. فلم يسبق له أن اهتم بمساعدة أحد حتى إذا كان ذلك لمصلحة معدته. وزادت دهشتها عندما كانا في المطبخ إذ أخذ مارك يتحرك بسرعة وعصبية كأن شيئاً يقلقه. فقالت له مازحة:

- ليس من عادتك أن تسرع بالقيام بأعمال النساء.

فحاول أن يتفادى نظراتها وخفض من صوته وهو يقول:

- لقد أردت أن أتحدث إليك. فقد عرض على السيد ماكاليستر أن أذهب معه لصيد السمك ولم أستطع أن أجد فرصة أخرى لأحدثك فيها على انفراد بعيداً عن الغير.

وقد أدهشها تردده الذي تدل على السرية. فقالت:

- إنك أكبر من أن تستأذني لتذهب مع السيد ماكاليستر.

فقطب جبينه بصورة واضحة وقال:

- ليس هذا ما أعنيه. إنك ستعودين إلى الأزرقة بعد أسبوع. وهناك شيء يجب أن تعرفيه. ورأيت من الأفضل أن تعرفيه من أحد أفراد أسرتك لا من شخص غريب.

فمالت كاثي إلى تشجيعه على الشرح بما يريد أن يقوله. ولكن كان واضحاً من صوته الجاد الواضح أن من العسير عليه، ومن المحرج، أن يشرح لها ما يريد قوله. ولم تتخيل أن الموضوع يخص مارك. ولا شك لا يخص لينيت أيضاً.

وأخيراً صرح مارك بسرعة بما في نفسه وقد احمر وجهه حرجاً:

- منذ أن رحلت، أخذ سمنثي يتقابل كثيراً مع برينشا فيرلي. ففي يوم وجدته

خرج معها وذهبا إلى أحد المطاعم وسألت هي تتدلل عليه كعادتها دائماً وتصرفت بطيش. لكن سيسي كانها ويبدو أنه أعجبها تصرفه اللطيف فكانت ترمي بنفسها في أحضانه وهي تعتذر له عما بدر منها ومن يومها وهما متلازمان وهناك إشاعات تقول بأنها لن تعود الكآبة.

ونظر مارك إلى شقيقته ليرى وقع الخبر عليها.

لكن الدموع التي ظهرت في عينيها لم تكن لاختيار سيسي غيرها لكن لرقة المشاعر الأخوية التي أبداها مارك فجأة نحوها فقد ودت لو طوقته بذراعيها وضمته إلى صدرها لكنها كانت تعلم أنها لا تستطيع أن تفعل ذلك. واكتفت بأن تركته يظن أن هذه الدموع كانت من أجل سيسي.

- أشكرك لاخبارك لي بهذا النبأ.

وكان صوتها متحشرجاً لكن ابتسامتها كانت صادقة.

- أعلم أنك و سيسي كنتما ستكونان سعيدين، وبدا لي أنه من الأفضل إذا عرفت قبل أن...

ردت عليه ببساطة قائلة:

- نعم أنت محق في ذلك.

ونظرت حولها بسرعة واستقر نظرها على الطبق الكبير الموضوع فوق المائدة فقالت لأخيها:

- هل تعجبك سلطة البطاطا هذه، وسأحضر لنا بقية الأشياء حالاً.

- يكفيني أن أتناول هذه. إنك تصنعين الأشياء اللذيذة مثلاً أو أي شيء آخر من هذا القبيل. أعني إذا احتجت لبعض الوقت لكي...

فقالت له كاتي لتطمئنه:

- سأحضر حالاً يا مارك فأنا حقاً جائعة.

وفعلاً شعرت كاتي بأنها بخير حتى أنها أمسكت بمارك وهو يخرج من

الغرفة. وقالت في نفسها وهي تتكئ على الحوض: إنها سعيدة لسيسي و مع ذلك سيسي تخلص الأمر. وارتجفت شفتاها وامتلأت عيناها بالدموع فهذه هي المرة التي لن يكون موضوعاً بالنسبة لها ولو حتى كصديق. لأن ... لن تفهم حقيقة علاقتها. وقالت في نفسها أنها لا تتوقع منى أن يكون سيسي بديلاً لما هي فيه من حب قاتل. وسالت دمعتان على خديها فقد سبق أن عرفها أخوها مارك من قبل. وكان من المتوقع أن يقول لها أنه سبق أن عرفته بدلاً من أن يقدم لها العزاء. ومع ذلك كان وقع الخبر عليها كانتزاع صخرة أخرى من أساس حياتها المتداعي.

- هل قال لك مارك أنه سيذهب للصيد مع والدي؟

فاضطربت كاتي لتصورت قلبت. لكنها لم تستطع مواجهته بل قالت:

- نعم. قال لي.

وعاد نحوها وهو يقول:

- خطر لي أنه ربما تريدين الذهاب لزيارة والدك في المستشفى.

فقالت بصوت هادئ:

- كما تريد.

وفجأة شعرت بأن أعصابها وعواطفها تعبت بحيث لم تقدر على تمالكها. لذا شغلت نفسها بالقصعة الموضوعة على الرف وقالت:

- سأخرج بعد أن أجمع هذه الفطيرة.

وأمسكت أصابعه بذراعها وجذب وجهها نحوه. وجمدت كاتي كل كيانها لتنظر بعمق في عينيه ولم يكن هناك بد من رؤية دموعها السائلة على خديها. وقال لها بلا مواربة:

- لقد كنت أسترق السمع، ولم أتصور أن خيانة سيسي يمكن لها ستؤثران فيك بهذه الصورة.

فسحبت يده من على كتفها ثم مسحت آثار الدموع من على وجهها وقالت:

«معذرة أشياء كثيرة لا تعرفها عني وعن مشاعري يا سيد ماكالبستر».

فظهر الغضب في كلماته وهو يقول:

«كلما ظننت أنني بدأت أفهمك تتغيرين كما تغير الحرباء لونها»

«كنت أولاً زوجة شاكة والآن أنا مريضة».

وظهر الحزن في عيني كاري وهي تتابع كلامها وتقول له:

«وأنت أيضاً لا تستقر على رأي واحد»

١٦ ـ انتصار الحب

«هل بحثت هذا الموضوع مع فلينت؟»

ألقت لوسيل فيشر هذا السؤال وعيناها الزرقاوان ترقبان وجه ابنتها القلق، وصاحت كاري قائلة:

«مع فلينت؟ وما شأنه بذلك؟ ليس هذا من شأنه. إذا لم أستطع الإقامة مع العمة جين فإنني سأقيم في فندق. لكنني لن أعود إلى منزله»

فبعد الرحلة الطويلة بالسيارة مع فلينت من أوغالالا حتى المستشفى في سكوتسبلاف وصلت كاري إلى حالة لم تعد تحتملها ولم يعد يهمها إلا كأن ذراعيها بعيداً منها أو نوعاً من الروتين. إلا أنها كانت واثقة من أنها لا تستطيع أن تكرر نفس الرحلة في العودة إلى كارين كاري مع فلينت مرة أخرى. فالأم قريبة منه وتحمل أحاديث للتغطية كان ضرباً من العذاب. وكان هو السبب في إسراع كاري بالذهاب ووالدتها بالسير معها إلى استراحة المستشفى حيث صرحت لها برغبتها وطلبت منها موافقتها عليها.

ووضعت لوسيل ذراعيها حول كتفي كاري بحنان وهي تقول لها:

«ليست المسألة يا عزيزتي هي في وجود مسكن لك عند العمة جين أم لا. فهي بالتأكيد سترحب بك كما تفعل دائماً. أما سؤالي عن بحثك الموضوع مع فلينت فلم يكن سؤالاً شكلياً، إنه عن فهم معقول تحت الظروف التي أنت فيها. أليس كذلك؟»

وانزعج وجه والدتها بعض الشيء، و كاسي تنظر إليها. فهل كانت تعرف شعورها نحوه؟ وهل يحتمل أنها استنتجت ما يدور بخلدها؟

«أي نوع من الأم أنا إذا لم أشعر بأن ابنتي قد أحبت؟» فكرت...

وبحثت في حقيبة يدها وأخرجت مجموعة من المفاتيح وقالت:

«هذه مفاتيح سيارة العمة تجديها موجودة في المرآب. وسأجد عذراً أقدمه لكلينت ووالدك عن غيابك المرضي». وستشكر لها بعده.

لمست كاسي أمها بحنو، وأمسكت في يدها المفاتيح التي ستطلق سراحها وتريحها. وهمست لأمها بحرارة قائلة:

«شكراً»

وأطبقت شفتيها بقوة وهي تنتزع نفسها من بين أحضان أمها وابتسمت لها ابتسامة العرفان بالجميل قبل أن تسرع عبر الممر في طريقها إلى باب الخروج من المستشفى. وكان المرآب مليئاً بسيارات زوار نهاية الأسبوع وهرعت كاسي إلى صفوف السيارات المتراصة بحثاً عن السيارة الصفراء الكبيرة الخاصة بعمتها. وانتابها الخوف عندما أخفقت في العثور عليها. فلا بد وأن تكون موجودة... بل يجب أن تكون موجودة

وقبل أن تدرك ما يحدث، كانت يدان تمسكان بكتفيها بعنف وتلفتانها نحو السيارة الصفراء الكبيرة التي جاءت بها إلى المستشفى. لكنها لمحت السيارة الصفراء الكبيرة بعد فوات الأوان في صف السيارات المجاورة لها. ولم يضيع كلينت وقتاً في الأدب والمجاملات بل دفع بكاسي إلى سيارته ليرغمها على الجلوس في المقعد المجاور لمقعد القيادة. لكنها أمسكت بالباب الأمامي لتبتعد عنه لكنه أمسك بيدها وهو يقول:

«لا تعصيني وإلا فلن تفلتي».

ودار حول السيارة بيده الأخرى ودفع بها إلى الوراء.

وصاحت به كاسي وهي تقوي عضلاتها وتحاول أن تحرر يدها من قبضته حتى تستطيع الهرب إلى السيارة الصفراء.

وألقى عليها كلينت نظرة قبل أن يحول انتباهه، وهو ينتصب إلى الخط بين المقعد أمامه.

«لم أكن أتصور أنك من هؤلاء النساء الضعيفات اللواتي يهربن ويختبئن خلف تجرح مشاعرهن لمجرد أن شيئاً يقلقهن». واستمع

كاسي بصعوبة ولم تتم حديثها.

«إنك تؤلم ذراعي»

ولم تحاول كاسي أن تخفي الألم المبرح بصوتها وهي تطلقه بوضوح وقوة رغم نظرة كلينت الموجهة لها

«إني لن أشعر بالقلق من السيارة وهي تسير بهذه السرعة»

تمهل كلينت من سرعته وترك يدها حرة ومال في طريق يقطعه المنحنى وقد ترك المدينة وراءها. وأخيراً أوقف كلينت السيارة على جانب الطريق، وحولت كاسي نظرها إلى الصخور الرملية البعيدة وهي تقاوم جاذبيته القوية التي يحسها نحوها من خلال عينيه وتحديقه بها أن تنظر إليه.

وكان صوته خافتاً حزيناً وهو يقول:

«أعلم أن أخبار سيرتي كانت صدمة لك. لكن أكثرها سيزول يا كاسي. فما عليك إلا إعطاء نفسك الوقت الكافي لتنسيه».

قالت كاسي وهي ترفع يديها إلى أذنيها وتقول:

«دعني أعاني لوحدي وبعيداً عن أقوالك التافهة».

وعاد إليها بعين يائسة وحسبها تتقد لرؤية ترسله إليها. فلم يكن مستعداً أن يتعرض للهجمة المستمطة وهو يقول:

«لماذا تجلسين بجوار الباب هكذا؟ إني أحاول أن أساعدك»

وبلع إحدى يديه المشدودتين وتمشى على إحدى يديها ولكن ليس بالقوة التي استخدمها معها من قبل بل كانت في هذه المرة لمسة رقيقة كما لو كان يمسك بعصفور يعاني من الخوف، ويجد من السهل الافلات من قبضته. لكن كاتي استبقت يدها في يده، وعاد يقول برفق:

«ستقابلين غيره وستحبينه كما أحببته».

وعند ذلك التفتت لتواجه عينيه وحدقت في وجه الرجل الذي أحبته من أجلها وانطلقت آهة من شفتيها وهي تقول:

«كلا. كلا.. لن أحب بعد الآن».

وضمها بلهيب عواطفه قبل أن يحاول فنسنت تهدئتها بقوله وهو واثق مما يقول:

«بل لا بد ستحبين شخصاً ما».

فحولت نظرها وهي تغالب الدموع التي ملأت عينيها

«إنك طيب جداً يا فنسنت، لكن لا فائدة من ذلك الآن».

فتوسل إليها فنسنت وهو يقول ثلاثاً

«يا إلهي، أرجوك ألا تبكي يا كاتي».

وأزاح السلة التي بينهما قبل أن تمنع كاتي وضمها بين ذراعيه وصرخ ثانية

«إنني لا أتحمل أن أراك باكية».

ودفن وجهه في شعرها بينما أخذت كاتي تدور بلا فائدة بسبب قوة احتوائه لها بين أحضانه، وتوسلت بصوت لا يكاد يسمع:

«أرجوك، أرجوك أن تتركني».

وكان توسلاً أملاه عليها عقلها. أما بقية كيانها فكان ينعم بقربه.

وضمها بقوة وابتعد قليلاً بحيث أمكنه النظر إلى سجينة أحضانه التي

أمسكت مستسلمة بلا حول ولا قوة.

وقالت له كاتي «اليوم أشعر أني وكأنني لعاطفتك بالطريقة اللائقة التي أطلقتك بها لكنها لا تعلم أن هذه الطريقة هي الوحيدة التي تخلص من الاكتراث مثله».

ولم تستطع كاتي أن تنس الصيحة التي أطلقتها بسبب كلماته

«وحتى الآن وأنا أعلم أن الدموع التي على خديك هي لرجل آخر إلا كل ما أتمناه أن أسعدك».

وحدق في الابتسامة التي ارتسمت على شفتيها وقال

«هل تجدين أي طرافة في هذا القول؟»

فهزت رأسها والدموع تبعث من السعادة التي لم تكن تتوقعها

«كلا..»

«بل لا بد تجدينها كذلك».

ورفعت أصابعها لتسكته ووضعتها على فمه وهمست تقول

«هل تعني أنك تحبني؟»

«وإذا أردت أن أقر بذلك كتابة فنعم أنا أحبك»

تعثرت أنفاسها لقوة نبرات صوته وأمطرت عيناها الدموع بجلال هذه اللحظة قبل أن تحاول بصوت مرتعش لكنه سعيد

«من حقك أن أقول لك أن هذه الدموع هي لرجل كان يحيرني مجرد ذكره شاكرة»

فرفع يده ثانيها إليه حتى يستطيع النظر في وجهها

«أتعنين أن ... سويتني ليس...»

«أعني أنني أحبك يا فنسنت ماكلستر»

ولم يستطع فنسنت أن يصدق أن هذه الكلمات القاطعة الرائعة يمكن أن

تنبعث من جسمها الرقيق.

وتلت ذلك فترة سكون، وكانت اللحظات التالية عاصفة تفجرت فيها ينابيع الحب بينهما. ثم قال «كليف»:

«عندما أفكر في الجحيم الذي عرضتني له، أود لو قصفت عنقك».

وكانت «كاثي» متألمة من كلام «كليف» والثورة المتفجرة في صوته

«لم أستطع أن أصدق أنك لم تحبيني، ولكنك حين أنكرت ذلك بشدة يوم أن أرسلتك إلى «كاثي» اضطررت أن أصدقك، وبعد ذلك أردت أن تتعرفي على أسرتي كما تعرفت أنا على أسرتك».

«ظننت أنك أردت التخلص مني. وأنك استخدمتني لإرضاء رغباتك والثروة كما كنت خائفة من أنني أتوقع منك أن... أن...»

وحاولت «كاثي» أن تشرح ما تريد لكن «كليف» فهم ما تعنيه وأتمم كلامها

«أن أتزوجك»

وضمها «كليف» [illegible] التي تشرق [illegible]

«لقد قررت أن أتزوجك يوم أن اضطررت إلى مفارقتك لمجرد الرغبة، والآن هذا هو ما سنفعله. سنتزوج بمجرد حصولنا على رخصة الزواج»

وتوقف عن الكلام وترك عينيه تجولان فوق وجهها وقال:

«وسيكون فستان الزفاف أبيض مثل لون زهرة المشمش الناضجة».

فضحكت «كاثي» وقد أسعدها الحب الذي شع من عينيه الرماديتين وقالت:

«ظننت أن العروس هي التي تنظم حفل العرس».

«هذا هو ما يحدث عادة».

وجذبها نحوه بحنان ومال قليلاً ليهمس في أذنها

«يمكن أن تستغرق الترتيبات منك وقتاً طويلاً، وأنا لا أستطيع الانتظار».

ضحكت «كاثي» وأسعدها الحب الذي لمع في عينيه وهي تدير رأسها لتلقيه على كتفيه هامسة:

«إنك بحق الرئيس الكبير».

www.liilas.com

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 48

احتضار الشقيق

يقال فلان وقع في الحب ولا يقال طار حباً، ربما لأن الحب رمال متحركة كلما تغلغل فيها المرء ازداد غرقاً واختناقاً.

...وما دام كل شيء إلى زوال لا يبقى القلب الجريح جريحاً إلى الأبد.

وكاسي التي تشبه زهرة شمعدان ذابلة ترعرعت مرة كالربيع في [illegible] لكن [illegible] الضوء ولا [illegible] تحت الشمس ينابيع الضوء. لكن هل يحق للعصب أن يحتكر سماء عينيها متلبدتان بالدموع؟ الحب يحيي ولا يميت. وفليت ماكالستر الذي حاصر كاسي بأسلاك عواطفه وحول أصابعه إلى قضبان كالسجن، متى يطلق عصفورته الأسيرة كي ترى إذا كانت ستعود إليه؟

www.liilas.com

لبنان	٧ ل.ل.	الكويت	٧٠٠ ف	اليمن	٨ ر	السودان	٨٠٠ م
سورية	٨ ل.س	الإمارات	٩ د	تونس	١ د	U.K.	£ 1
الأردن	٥٠٠ ف	البحرين	٩٠٠ ف	ليبيا	٩٠٠ د	France:	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	٩ ر	المغرب	٨ د	Greece:	Drs 120
السعودية	٨ ر	عمان	٩٠٠ ب	مصر	٨٠٠ م	Cyprus:	P 1